شهرية ثقافية

الهدى

العدد ٢٩١ ذي القعدة الحرام ١٤٣٧هـ

المرجع المدرسي:
الجهاد الكفائي ليس آخر ما لدى مراجع الدين للدفاع عن البلاد والعباد

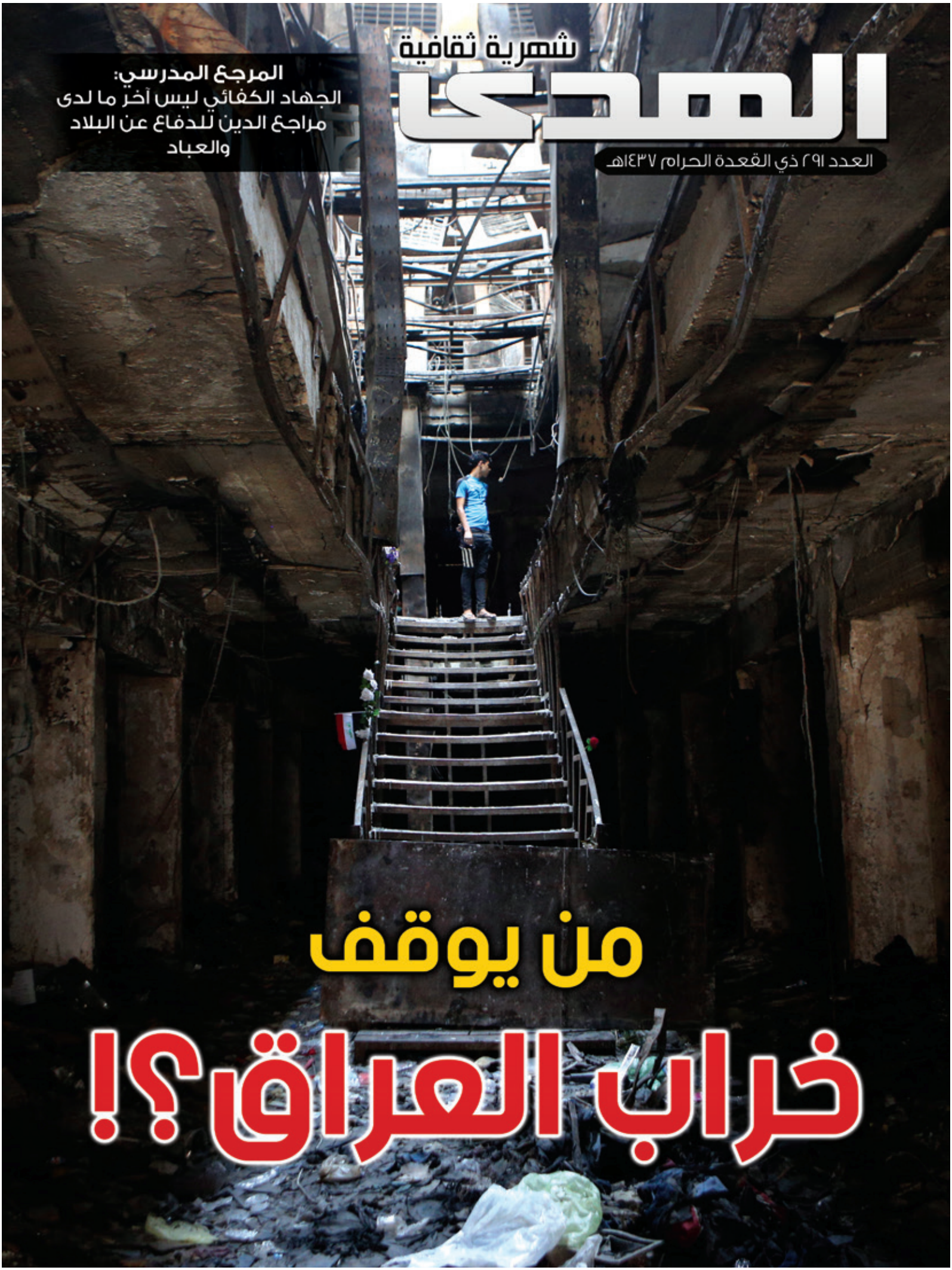

من يوقف خراب العراق؟!

مجلة الهدى

شهرية ثقافية تصدر عن دار الهدى للثقافة و الإعلام

- معتمدة لدى نقابة الصحفيين العراقيين رقم (٣٣٢)
- رقم الإيداع في دار الكتب و الوثائق في بغداد رقم ١٥٩١

المرجع والأمة ٢
بصائر ٦
الأخبار ٨
موضوع الغلاف ١٢
حوارات قرآنية ١٦
مجتمع ٢٦
ثقافة رسالية ٣٨
إستفتاءات ٤٣
أسوة حسنة ٤٨
أدب ٥٠
إسطرلاب ٥٣
بأقلامكم ٥٥

للتواصل و الإستفسار: www.alhodamag.com

رئيس التحرير: mahdali12@gmail.com

هيأة التحرير: editor@al-hodaonline.com

بريد المجلة: editor@al-hodaonline.com

الهاتف: +9647809162815

العنوان: كربلاء المقدسة، صندوق البريد (١٥٥)

رئيس التحرير: محمد علي جواد تقي

هيأة التحرير: نعمان سالم التميمي
الشيخ ماجد الطرفي
السيد جواد الرضوي

الإشراف اللغوي: د. خالد العلواني

التصميم و الإخراج: عبد الله ناصر

التصوير: كاظم داشي

جميع الحقوق محفوظة لدار الهدى للثقافة و الإعلام.

هل حان ربيع الشعوب؟

• رئيس التحرير

كل المعطيات على الارض تشير الى أن أمام الشعوب الاسلامية وتحديداً الشعوب في الشرق الاوسط فرصة تاريخية للتغيير واستعادة كرامتها، بعد فقدان أنظمة سياسية مصداقيتها بعد طول كفاح مرير من أجل التشبث بكرسي الحكم، فمنها الراحل الى الابد في ظل أجواء ما يسمى بـ «الربيع العربي» ومنها المنتظر للجديد من الرياح القادمة من الخارج وما تمليه مصالح الدول الكبرى.

ولا أجد تفسيراً لاستمرار إراقة الدماء والدمار والتشريد الذي تشهده شعوب المنطقة، سوى انعكاس لمشاعر الهزيمة التي استبدت بالحكام، فبدلاً من أن تتجسد مصاديق هذه الهزيمة فيهم وفي حواضنهم السياسية والفئوية، لما أثبتوه من فشل ذريع في أن يكونوا حكاماً لبلادهم، على الأقل، لاحظنا كيف أن النار يتم توجيهها الى نحو البسطاء من ابناء المجتمع، وهم بين كاسب على قارعة الطريق او طالب علم في ريعان الشباب او امرأة او حتى طفل بعمر الورد، كل هؤلاء يتحولون فجأة وعلى حين غفلة الى أشلاء موزعة في مكان الانفجار.

عندما كانت هذه الأنظمة السياسية تتبجح بما تقدمه لشعوبها من أمن واستقرار وبحبوحة من العيش، كانت في واقع حالها تحظى بالوصاية والعناية من لدن عواصم كبرى، أما اليوم فان آخر ورقة توت سقطت من هؤلاء الحكام، ولم تعد قادرة على توفير الامن والاستقرار والعيش بعيداً عن الازمات الاقتصادية والسياسية والامنية، ولذا نلاحظ البعض ينتظر بفارغ الصبر ان ينتهي كيري ولافروف، من ملف سوريا، للالتفات قليلاً الى ملف الشعب اليمني والشعب البحريني، بعد أن سئم الجميع التخرصات السعودية والتطاول التركي في المنطقة.

وقبل أي حديث عن اسباب الازمات وخلفيات الاحداث، ومن المسؤول؟ ولماذا حصل الذي حصل؟

وغير ذلك من المثيرات السلبية المثبطة للنفوس، من الجدير البحث عن القدرات المتاحة لدى الجميع للقيام بالممكن، فقد ثبت بعد طول زمن، أن الحكام لم يكن يملكون معشار ما تملكه الشعوب من قدرات ذهنية وعضلية ومادية، الى جانب القدرات المعنوية الهائلة لشعوب تؤمن بالاهداف الكبيرة والمقدسة التي تستحق التضحية من اجلها بكل شيء، فهنالك الكفاءات العلمية والمهنية، كما هنالك القدرات المادية والقوة الشبابية المتوثبة وغيرها كثير، بينما الحكام لم يكن يملكون سوى أداة واحدة تحكموا بها على رقاب الناس، وهي «الخوف»! زرعوه في النفوس، من ضياع الامتيازات وفرصة العمل او الاعتقال والسجن ثم الموت.

ان أجواء الفوضى السياسية التي تعصف بالأنظمة السياسية في الوقت الحاضر.

تمثل فرصة ذهبية وتاريخية لكل دعاة التغيير الثقافي والبناء الفكري ونشر الوعي بين ابناء المجتمع، كما ان المسؤولية تكون كبيرة وتاريخية ايضاً، على المؤسسة الدينية، وتحديداً علماء الدين في توجيه دفّة هذه الحركة الإصلاحية وإعطائها بعداً حضارياً.

لا أن تكون حركة مطلبية، تنتهي بتلبية مطالب المتظاهرين – مثلاً– إنما القضية مصيرية ترتبط بالحاضر والمستقبل، وتحتاج الى تخطيط متكامل وتفكير جدّي بكل مستلزمات النهوض.

يكفي أن نلاحظ ما قدمته الحكومات الفاشلة وما أخذته بالمقابل من الشعوب خلال العقود الماضية، وهو ما يستذكره الناس في عديد بلادنا المأزومة، إنهم وفروا الامن والاستقرار وتحكيم سلطة النظام، وليس المليشيات المسلحة، مع مستوى معيشي لسان حاله «قوت لا يموت»، بالمقابل اخذوا منهم الكرامة والحرية، بينما بالامكان تقديم الكثير للشعوب بما يضمن لها العيش الرغيد والآمن في حالها الحاضر ولأبنائها في المستقبل.

وفي مقدمة هذا العطاء «الجهاد»، ليس فقط بالسلاح وفي جبهات القتال، بل في جميع نواحي الحياة، فالجهاد يمكن ان نراه في البناء والإعمار وفي طلب العلم وفي مواجهة الافكار الضالة الوافدة من الخارج، وحتى في الزراعة والصناعة وفي كل شيء، والأهم من كل ذلك؛ تقديم النموذج الصحيح للجهاد مقابل النموذج الكاذب لجهاد الذبح والتكفير.

أعتقد جزماً؛ أن تجربة «الجهاد الكفائي» التي نجحت بتفوق في العراق على يد ابنائه الشجعان، بتشكيل جيش رديف وعلى وجه السرعة تحت عنوان «الحشد الشعبي»، وفعلت ما فعلت من عجائب امام أنظار العالم، من شأنها أن تُكرر في البلاد الاسلامية الاخرى عندما تلتقي فيها الشعوب مع النخبة المثقفة لديها على طريق واحد لصنع البديل عما خلفته الحكومات الفاشلة، وحسناً قال سماحة المرجع المدرسي في إحدى مؤلفاته: «جاهدوا تورثوا أبناءكم عزّاً».

المرجع المُدرّسي متهماً «الدول المارقة» بإشغال المنطقة بحروب عبثية

لابد من الإسراع باستعادة الموصل والرقة لحسم الموقف لصالح الأمن العراقي والعربي والاسلامي

أكد سماحة المرجع المُدرّسي – دام ظله – على ضرورة الإسراع بتحرير واستعادة مدينة الموصل في العراق والرقة في سوريا لحسم الموقف لمصلحة الأمن العراقي والعربي والإسلامي.

وقال سماحته في بيان: «أهيب بأبطال العراق من المسؤولين والقوات المسلحة وسائر أبناء الشعب العراقي الغيارى في الشمال والجنوب والإخوة الأكراد باستعادة نينوى العزيزة وتجاوز المسائل الهامشية».

وأضاف أن «العالم لا يزال في سبات من أمر الإرهاب وأخطاره على السلم الأهلي».

وقال أيضا: «إن علينا أن نتحمل مسؤولية محاربته عن أنفسنا وعن شعوب الأرض جميعاً».

ورأى المرجع المُدرّسي أن هناك من يشغل المنطقة بحروب وصفها بـ (العبثية) نيابة عن الصهاينة، في قوله «إن الدول المارقة في المنطقة لا تزال تشغل المنطقة بحروب عبثية نيابة عن الصهاينة الذين استهلوا فرحاً بالضعف التاريخي الذي أصاب الدول العربية وظهر واضحاً في القمة العربية»، التي عقدت مؤخرا في العاصمة الموريتانية نواكشوط.

وتابع سماحته بالقول: «إن إشغال المنطقة بهذه الحروب يشكل قمة الفشل في الإرادة عندنا». كما اشار سماحته الى ان بعض الدول المارقة لها مصلحة في دعم واستمرار وقوع المجازر الوحشية والتفجيرات التي كان آخرها استهداف عدة مناطق في العاصمة بغداد والعاصمة الافغانية كابول والإبادة الجماعية في قرية صراري اليمنية من قبل العدوان السعودي ومرتزقته. وقال سماحته: «إن اليد الآثمة واحدة، هنا أو هناك.

وهي التي كانت وراء الانقلاب الفاشل في تركيا والذي كان يستهدف إغراقها في حرب أهلية».

وختم بيان سماحته بالقول: «إن تحرير الموصل والرقة كفيل بإذن الله بقطع تلك اليد وحسم الموقف لمصلحة الأمن العربي والإسلامي».

الإصلاح الحقيقي هو السبيل لفك الاختناقات السياسية والاقتصادية في العراق

حذر سماحة المرجع المُدرّسي –دام ظله– من عواقب وخيمة قد تسببها الاختناقات السياسية والاقتصادية في العراق في أي لحظة، مؤكدا على ضرورة القيام بإصلاح حقيقي للوضع الاداري برمته وعدم الاكتفاء بتغيير الوجوه. ودعا في بيان له، إلى اخذ العبرة مما حدث في تركيا مؤخراً. وقال سماحته في بيان له صدر مؤخراً: «إن الاختناقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في العراق قد تنفجر في أي لحظة وتتسبب بعواقب وخيمة، وعلينا دراسة كل جوانب مشاكلنا وممارسة السعي الدائب من أجل اجتثاثها». واضاف أن: «على الشعب العراقي والقادة اتخاذ العبرة مما جرى في الدولة الجارة المسلمة تركيا والذي ألحق بها أضراراً هائلة».

واوضح سماحته: «إن مشاكل البلاد جاءت نتيجة تراكمات الأوضاع السلبية من الاحتلال والحكومات الدكتاتورية السابقة، بالإضافة إلى الزمرة الإرهابية التي تشكل رأس الحربة لمؤامرة دولية وإقليمية كبرى ضد العراق».

ودعا سماحته إلى إصلاح الوضع الإداري وعدم الاكتفاء بتغيير بعض الوجوه فقط، وقال في هذا الشأن «إن علينا إصلاح الوضع الإداري برمته فتغيير بعض الوجوه لن يكفي وإنما يجب أن نعيد النظر في كل القوانين السائدة من أجل معالجة التخلف الإداري». وأضاف : «إن الإصلاح لن يتحقق إلا بتطور مناهجنا التعليمية ابتداءً من رياض الأطفال حتى مرحلة الدراسات العليا بما يتناسب مع أوضاع بلادنا، كما علينا تطوير مناهج الحوزات الدينية بما يتناسب وحاجات العصر الراهن».

ونوه المرجع المُدرّسي إلى ضرورة دعم لجان البرلمان العراقي بمراكز دراساتية للقيام بمهمة الإصلاح الجذري، وقال: «إن مجلس النواب قادر بإذن الله على القيام بهذه المهمة العظيمة إذا دعمت لجانه بمراكز دراساتية تستوعب طاقات الشعب الأكاديمية وتستضيف خبراء من العالم»، وأضاف: «ينبغي أن تهدف هذه اللجان إلى تجديد الوضع الإداري من جميع جوانبه بما فيه استخدام الوسائل الحديثة كالحكومة الإلكترونية التي توفر المزيد من الوقت والمال.

وختم سماحته بالقول: «نهيب بأبناء الشعب العراقي إلى بذل المزيد من التلاحم مع الدولة عبر التواصي والتشاور والتعاون لتحقيق الإصلاح والذي لا يتم برمي كرة المسؤولية على هذا أو ذاك وبلا تحمل مسؤولية الإصلاح».

قوة «اللجان الشعبية» الظهير المساند للقوى الأمنية لمحاربة الإرهاب

اكد سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي – دام ظله – على ضرورة تطهير الأجهزة الأمنية من الفساد والعناصر الدخيلة والضعيفة، فيما دعا إلى تشكيل قوة «اللجان الشعبية» في كافة المناطق العراقية لمساندة القوى الأمنية، مطالبا القضاء بقوانين تردع المتعاونين مع الإرهاب والمتخاذلين في محاربته.

وفي بيان صادر عن مكتبه في كربلاء المقدسة عقب فاجعة التفجيرات الارهابية التي استهدفت الكرادة ومرقد السيد محمد ابن الإمام الهادي، عليه السلام، في سامراء، قال سماحته: «إن دماء ابنائنا ليست رخيصة وعلينا أن نكثف الجهود من اجل اتخاذ العبر من كل حادثة لمنع تكرارها». واضاف: «إن الأبواق الأجيرة المولة من قبل الدول المارقة والراعية للإرهاب تقود حرباً إعلامية ظالمة تكمل وتدعم جرائم وحرب الارهابيين ضد شعبنا، مؤكدا على أن الشعب العراقي؛ لن يخضع لابتزاز المجرمين ولن يركع بإذن الله» لأنه يستقي صبره من علي، عليه السلام، واستقامته من سيد الشهداء الحسين، عليه السلام، في ملحمة الطف، ومن ثورة العشرين.

وشدد المرجع المدرسي على ضرورة تطهير الأجهزة الأمنية من العناصر الدخيلة والضعيفة وتكثيف الجهود من أجل رفع كفاءة الأجهزة الأمنية تقنياً وبشرياً. ودعا سماحته إلى تشكيل قوى شعبية تتعاون مع القوات الأمنية في كافة المناطق لكي يكون الشعب متابعاً للوضع الأمني ومشاركا في حفظه. كما طالب القضاء العراقي أن يأخذ دوره الجدي بوضع قوانين رادعة للمتعاونين مع الإرهاب والمتخاذلين في مقاومته ومحاربته.

وفي سياق متصل، أوضح سماحته أنه: «لولا الدول المارقة في المنطقة ودعمها للعصابات التكفيرية لما استطاعت ان تتطاول على ارتكاب مثل هذه الجرائم البشعة».

وقال في بيان صادر عن مكتب سماحته بشأن التفجيرات الإرهابية التي وقعت في كربلاء المقدسة والكاظمية والخالص ومناطق اخرى من بغداد: «لقد فشلوا في مواجهة الأبطال في الفلوجة والانبار وغيرهما، فقاموا بهذه الجرائم النكراء». وأضاف البيان أن: «الدول المارقة في المنطقة تدعم هذه العصابات التكفيرية ومن ذلك الدعم الاعلامي وبخاصة في المرحلة الاخيرة كانت ولاتزال أبواقهم الشيطانية تبث الافكار الطائفية التي تذكي التفرقة بين ابناء الامة». واوضح: «أن أبناء الشعب العراقي كان ينبغي عليهم ولا يزال أن يتخذوا مواجهة الإرهاب قضية جدية ومصيرية في حياتهم، ولقد سبق وأن ذكرنا من أنه لا يمكن مواجهة هذه العصابات إلا بعزيمة وطنية شاملة وبتشكيل لجان من أبناء الشعب لدعم القوات المسلحة من جهة وقوات الامن من جهة اخرى لكي لا تتكرر هذه الجرائم». وختم البيان بالقول: «إننا نعتقد بأن الارهاب في حالة انحسار وهذه الحالة قد تدفع بهم إلى ارتكاب ابشع الجرائم لجبران خسائرهم وتشجيع قواتهم المتقهقرة والمنهزمة».

على المسؤولين التنازل عن امتيازاتهم والارتقاء على مستوى تضحيات الحشد الشعبي

اكد سماحة المرجع المُدرّسي – دام ظله – للشعب العراقي على أن مزيدا من دعم والتفاف الشعب حول ابنائه من الحشد الشعبي والقوات الأمنية، هو الرد السليم على تصريحات ومواقف بعض الدول المارقة والداعمة للارهاب، التي تجلت مؤخرا في المواقف الحاقدة والاتهامات الباطلة التي اطلقها وزير الخارجية السعودي ومطالبته بتفكيك قوات الحشد الشعبي في العراق.

وفي بيان صادر عن مكتبه بهذا الخصوص قال سماحة المرجع المُدرّسي: «إن على جماهير شعبنا في العراق الالتفاف أكثر وأكثر حول أبنائهم من أبطال القوات المسلحة والحشد الشعبي الذين وفقهم الله للانتصار ودكّ أوكار الإرهاب في الفلوجة وغيرها». واضاف سماحته: «إن الدول المارقة والراعية للإرهاب قد صدمت بانتصاراتكم، وتجاوزت الأعراف الدولية في تصرفاتها الظالمة حتى أنها طالبت بتفكيك الحشد الشعبي، وأن رد فعلنا السليم يكمن في المزيد من الدعم للحشد الشعبي»، واضاف: «ندعو أبناء الحشد الشعبي الكرام أن يتواصلوا أكثر مع سائر طبقات الشعب لكي يصبح شعبنا كزبر الحديد في مواجهة التحديات، ومثل هذه الهجمات». كما شدد سماحته أن «على السياسيين في العراق أن يضحوا ببعض امتيازاتهم وبعض تواجهاتهم والارتفاع إلى مستوى بطولات إخوانهم في القوات المسلحة والحشد الشعبي» وأضاف: «عليهم أن يوحدوا صفوفهم لمواجهة المؤامرات التي تحاك ضد العراق وأخطرها تقسيم البلد إلى كاتونات متفرقة ليسهل احتواؤها من قبل الأعداء». من جانب آخر دعا سماحته المسؤولين المعنيين إلى الاهتمام بدراسة العمليات العسكرية والإعداد لها بشكل جيد قبل انطلاقها لتقليل حجم التضحيات والخسائر. واوضح سماحته بالقول: «يحق لكل أب عراقي وأم عراقية أن يفتخروا ببطولات أبنائهم في الحشد الشعبي والجيش والقوات الأمنية وماحققوه من انتصارات، ولكننا نهيب بالمسؤولين الكرام بأن يهتموا أكثر وأكثر بالدراسة والإعداد لكل عملية عسكرية للتقليل من حجم التضحيات»

في ضوء الاعتداء الاجرامي في كابول

المرجع المدرسي: على الشعب والحكومة في افغانستان العمل بجد لاجتثاث طالبان وداعش

قال سماحة المرجع الدينِي آية الله العظمى السيد محمد تقي المُدرسي –دام ظله–: إن على العالم أن يتحد من أجل القضاء على الإرهاب كما حدث ضد النازية، محذرا من أن فقدان الأمن سيجتاح العالم ما لم يتحد ويعمل الجميع على اجتثاث الإرهاب ومموليه وداعميه.

جاء ذلك في بيان لسماحته حول التفجيرات الارهابية التي استهدفت تظاهرة للمطالبين بحقوقهم في العاصمة الأفغانية كابول وأودت بحياة نحو٨٠ شخصا وجرح ٢٣١ آخرين من شيعة اهل البيت، عليهم السلام، من طائفة الهزارة.

وقال سماحته في البيان:

«إن على الشعب الأفغاني والحكومة أن يجدّا من أجل اجتثاث القاعدة وطالبان وداعش وسائر الحركات الإرهابية والمؤيدين لهم».

وأضاف: «إن على دول العالم الاعتراف بأن الإرهاب لا حدود ولا لون ولادين ولاقيم له»، وقال: «أن على العالم أن يتحد من أجل القضاء على الإرهاب كما حدث ضد النازية في القرن الماضي».

وحذر سماحته من: «سفك المزيد من الدماء البريئة والخراب العريض وفقدان الأمن سيجتاح العالم وليس في نقطة معينة منه ما لم يعمل الجميع على اجتثاث الإرهاب».

خلال استقباله متولي الروضة الرضوية

المرجع المدرسي يدعو الى تطوير الحوزة العلمية في مشهد المقدسة

دعا سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي، الى إعادة الدور الريادي للحوزات العلمية في المجتمع.

مؤكداً على ما يقوم به العلماء والحوزات العلمية في الحفاظ على الهوية الدينية وتكريس الثقافة الاسلامية في المجتمع.

جاء ذلك خلال استقبال سماحته، الأمين العام والمتولي للروضة الرضوية الشريفة، سماحة السيد ابراهيم الرئيسي في مكتبه بمشهد المقدسة.

وأكد سماحة المرجع المدرسي خلال اللقاء على الدور الذي يقوم به العلماء والحوزات العلمية لمواجهة المد الثقافي المضلل للشباب سواء على صعيد ثقافة التطرف في الدين او المروق منه، والإلحاد برب العالمين، مؤكدا على ان ضعف الحوزات يؤدي الى ضعف البنى التحتية للثقافة الاسلامية الأصيلة، وبذلك «لابد من إعادة الحوزة العلمية في مشهد المقدسة التي كانت تشكل ركناً من الأركان الأربعة للحوزات الشيعية في العصر الحديث، والتي تعرضت الى التدمير من قبل الشاه المقبور».

واكد سماحة المرجع المدرسي على ان ما نشهده اليوم من وجود حكومات وأنظمة اسلامية على ارض الواقع، انما هي نتيجة لتأسيس ثقافي ومعرفي وجهاد كبير قام به العلماء قبل عقود من تشكيل الحكومة الاسلامية في ايران.

مبيناً ان الخطوة التالية هي خطوة بناء الامة، إذ أن الدولة والنظام بمثابة رأسٍ يفتقر الى جسد، وجسده الأمة.

وعلى صعيدٍ آخر دعا سماحة المرجع المدرسي الى الاهتمام بتقديم افضل الخدمات لزائري الامام علي بن موسى الرضا، عليهما السلام، وتوفير مستلزمات الزيارة الكاملة لهم؛ المادية منها والمعنوية.

ومن جهته، قدّم السيد إبراهيم الرئيسي تعازيه لسماحة السيد المرجع بوفاة كريمته.

كما قدّم لسماحة المرجع تقريراً موجزاً بأهم ما تقوم به الامانة العامة للروضة الرضوية من مشاريع خدمية وثقافية.

من أهم واجباتنا اليوم إعادة اللحمة الوطنية والمحافظة على وحدة الأرض العراقية

قال سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المُدرّسي – دام ظله –: «إن القيادات الدينية والسياسية على كافة المستويات مطالبة اليوم بالمزيد من الحوار البنّاء للخروج باستراتيجيات حكيمة من اجل العبور من المرحلة الراهنة». وفي جانب من كلمة له خلال استقباله وفودا عشائرية وحوزوية، أشار سماحته في هذا السياق الى أن: «الاحتلال كان حدثاً كبيراً في تاريخ العراق وآثاره السلبية لا تزال تتفاعل على الساحة ومنها الشرخ الكبير بين أبناء الوطن الواحد وتمزيق الشعب إلى طوائف دينية وعرقية»، وأضاف: «إن من أهم واجباتنا اليوم إعادة اللحمة الوطنية والمحافظة على وحدة الأرض العراقية».

وأكد سماحة المرجع المُدرّسي في حديثه على أن: «عناصر القوة لدى الشعب العراقي لا تزال كثيرة، وتمسك أبناء الشعب العراقي بقيم الدين وتراث الوطن من أهم عناصر القوة لديه وعلينا استثمار هذه القوة للعبور إلى المستقبل».

وفي الشأن الدولي، أدان سماحة المرجع المُدرّسي، الجرائم الارهابية التي وقعت مؤخرا في دول اوربية على رأسها فرنسا، وقال: «إننا ندين بأقسى العبارات الهجمات الجبانة ضد الآمنين في فرنسا وغيرها وما حدث دلالة واضحة على أن الإرهاب لا لون ولاحدود ولاقيم له وهو خطر يهدد الجميع وعلى العالم اجمع مواجهته بلا نفاق او تمييز بين ارهاب وآخر»، موضحا ذلك بالقول: «مثلما ندين العمليات الارهابية في فرنسا وغيرها، فإننا لا يمكن أن نحارب الارهابيين، فيما نؤيد إرهابيين آخرين كعناصر جماعة خلق الإيرانية وماتحظى به من دعم في فرنسا، فهم في الجريمة سواء، وعلى العالم أن يكون أكثر جدية في مواجهة وباء الإرهاب العالمي وعدم التمييز بين إرهابي وآخر».

الجهاد الكفائي ليس آخر ما لدى مراجع الدين للدفاع عن البلاد والعباد

• إعداد: بشير عباس

لماذا المسلمون اليوم اصبحوا في القاع بينما كانوا في يوم من الايام في القمة؟ ولماذا نجد في البلاد الاسلامية، الصراعات الطائفية والعرقية والاثنية، علاوة على ما لديهم من التخلف والدكتاتورية والظلم والبغي؟

والسؤال الآخر الذي يقفز بقوة على مسرح الاحداث الدامية التي تحصد شيعة اهل البيت، عليهم السلام، في افغانستان واليمن والعراق وغيرها على يد الجماعات التكفيرية؛ لماذا لا يستشعر المسلمون ألم هذا النزيف الحاد في كيان الامة؟ وهل نفهم أن ثمة حالة «استمراء» المأساة والمعاناة قد اصاب الامة، فلا تكاد تهتم بمقتل النساء والاطفال بين مدة واخرى، في هذا البلد او ذاك؟!

• لماذا الصمت إزاء سفك الدماء؟

هناك سبب يتعلق بظرف الزمان، ومترابط بأوضاع الأمة الراهنة، والسبب الآخر، وهو رئيسي وجدي، يتعلق بما تمر به بلداننا وامتنا من أوضاع ومآلات.

السبب الاول: بعدما انطلقت الشريحة الواعية من المسلمين في مشروع النهضة وبدأوا يطالبون بحقوقهم، سارع الاعداء وخططوا لإسكاتهم واستعادة السيطرة عليهم، ليس بتدخلهم المباشر، وإنما عبر جماعات تدّعي الاسلام والدفاع عن قضايا المسلمين، وإلا فان البلاد الاسلامية كانت تشهد المظالم على يد الحكام، بيد أننا لم نكن نسمع بـ «القاعدة» أو «النصرة»، او «داعش» و امثال هذه الزُمر، وإذن؛ فهذه الجماعات تمثل أدوات خبيثة تم اعدادها في الخارج وصدروها لنا بهدف ضرب الامة من الداخل، مع ذلك؛ يبقى هذا السبب طارئاً، وليس هو السبب الحقيقي.

أما السبب الثاني الحقيقي، فهو يعود الى تخلي العلماء عن دورهم ومسؤوليتهم الحقيقية، وتحولهم الى أتباع للحكام، وهذا الخطأ حذر منه شخص النبي الاكرم، صلى الله عليه وآله، بكلمة واضحة، هي من خلاصة القرآن الكريم، حين قال في الحديث المأثور: «إذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك فبئس العلماء وبئس الملوك، وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فنعم العلماء ونعم الملوك».

إن القضية في مَن يقود مَن في الأمة؟

هل الحكمة والاخلاق والقرآن والتاريخ المشرّف في حياة الامة والعلم والقيم الرسالية؟ أم مجموعة أناس يحكمون بلدان الأمة، ويتحكمون بمصائرها لأنهم يملكون القوة والإعلام والمال؟

صحيح أن هناك اليوم علماء في السجون ويواجهون تحديات ومصاعب، ولكن؛ بصفة عامة، نجد علماء المسلمين على ابواب الملوك والحكام، وقد تخلوا عن مواقعهم القيادية ومسؤولياتهم واصبحوا ذيولاً و أدوات، يفترون على الله ويستصدرون لهذا الملك وذاك الحاكم الفتاوى والتبريرات للحروب والظلم والتسلّط، فمن المسؤول عن الويلات والمآسي التي نعيشها؟ هل الحاكم الذي قيد العلماء وقمعهم ولم يدعهم يقومون بدورهم؟ أم العالم الذي ترك موقعه و اطلق يد السراق والمحتالين والطغاة ليعيثوا فسادا في الأمة؟

• الامام الحسين ومسؤولية العلماء

الامام الحسين، عليه السلام، يحدد المسؤول في رسالة وجهها الى علماء الأمة في زمانه، قبل سنة من شهادته، وتحديداً في أواخر عهد معاوية، هذه الرسالة من شأنها أن تكون أعظم الوثائق التاريخية المتعلقة بالنهضة الحسينية، وفيه يبين الامام، عليه السلام، أن المسؤول؛ هم العلماء، عندما لم يقوموا بدورهم في قيادة و ارشاد الامة وتوانوا وتراجعوا و باعوا دينهم بدنيا غيرهم، كما باعوا آيات القرآن بثمن بخس دراهم معدودة، فأصبح وضع الامة هكذا عبر الزمان واليوم أيضا، حيث جاء في جانب من كلمته، عليه السلام:»...ثم أنتم، أيها العصابة، بالعلم مشهورة وبالخير مذكورة وبالنصيحة معروفة، وبالله في أنفس الناس مهابة، يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف، و يؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يَدَ لكم عنده، تشفعون في الحوائج، إذا امتنعت من طلابها، وتمشون في الطريق بهيئة الملوك وكرامة الأكابر، أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله، وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون، فاستخففتم بحق الائمة، فأما حق الضعفاء، فضيعتم وأما حقكم بزعمكم طلبتم، فلا مالاً بذلتموه، ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله، أنتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله وأماناً من عذابه، لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله، أن تحل بكم نقمة من نقماته، لأنكم بلغتم من كرامة الله منزلة فضلتم بها، ومن يعرف بالله لا تكرمون، وأنتم في عباده تكرمون، وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون، وما أمركم الله به من النهي والتناهي، أنتم عنه غافلون، وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء، لو كنتم تسعون، ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلا لتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة، ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة في ذات الله، كانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع، ولكنكم مكّنتم الظلمة من منزلتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم، سلطهم على ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، يتقلبون في الملك بآرائهم ويستشعرون الخزي بأهوائهم، اقتداءً بالاشرار، وجرأة على الجبار، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالأرض لهم شاغرة، وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خول لا يدفعون يد لامس، فمن بين جبار عنيد وذي سطوة على الضعيف شديد مطاع لا يعرف المبدأ المعيد».

إذن نسأل مجدداً: أين مكمن الضعف عند مؤسسة العلم والعلماء في الدين؟

نحن نقرأ الآيات القرآنية الكريمة، والروايات المأثورة عن النبي و أهل البيت، عليهم السلام، وهي تبين دوراً أساسيا للعلم والعالِم وفضله ومنزلته، فالدين أراد للعلماء أن يكونوا قادة وقدوة في الأمة، وهم أساس، ومؤسسة رئيسية في صياغة وقيادة وبناء الأمة؛ فلماذا –إذن– وصل بهم الأمر لهذه الحال، بأن يكونوا على ابواب الملوك والحكام؟ وكيف يمكن ان يعودوا لدورهم الحقيقي، ويوجهوا ويضبطوا الحكام، لا أن يوجههم ويسخّرهم الحكام والملوك لمصالحهم؟

هذا بحث عميق وأساس يجب أن لا يغيب عنّا، ونوجه هذا الكلام، للتنبيه لعامة علماء بلاد المسلمين.

أما نحن الموالين و أتباع مدرسة أهل البيت، عليهم السلام، فلدينا تاريخ مشرّف، فعلماؤنا تمسكوا باستقلالهم وقيادتهم للساحة، وعدم السماح لأنفسهم بالذوبان في التيار العالم، وعدم الاعتراف بسلطة ظالم، حتى لو ادى هذا الموقف لاستشهادهم، او اعتقالهم وتعذيبهم. فشعار علمائنا وفقهائنا عبر التاريخ ولغاية الآن، كان و سيبقى: «اللهم احينا حياة محمد وآل محمد وأمتنا مات محمد وآل محمد»، بفضل علماء كهؤلاء، و ثقافة و روح استشهادية كهذه، لا يزال علماء مدرسة اهل البيت، عليهم السلام، يتمتعون بالاستقلال وعدم التبعية للحكام، وحتى من لم يستشهد منهم، فسلوكه ومواقفه و أمنيته الشهادة، {فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا}.

من هنا، ينبغي علينا ان نواصل هذا الخط، ولا تغرنا المناصب، ولا نهاب الابواق الاعلامية، والضغوط النفسية، ولا تخيفنا التهديدات والانتقادات والاشاعات وحملات التسقيط، علينا أن نعرف صفة العلم ودور العلماء بالمحافظة على الاسلام وأخلاق الأمة وقيمها، وليس التصفيق وحب الشهرة والاعلام.

وأن نعرف قيمة العلم ودور العالم حين يكون مستقلاً، وكيف أن موقفاً و كلمة منه قد تغير التأريخ، وهو جالس في بيته الصغير، وفي منطقة نائية، وهو ما ثبت لعلمائنا الاجلاء بالتجربة والدليل في تاريخنا البعيد والقريب.

ولذا يجب أن نبحث ونتتبع علماء يتخذون الموقف البطولي، و يقولون كلمتهم لله – تعالى– ولا يخشون أحداً إلا الله، عندها تكون في هذه الكلمة الفائدة والعلاج لأوضاع الأمة.

يجب ان لا نجلس بلا عمل، أن نبحث عن أي فرصة متاحة لخدمة الاسلام، وبسط حاكمية الدين الصحيح، فهناك فرص كثيرة جدا في العالم، ووسائل متاحة لإبلاغ الرسالة والكلمة والقيم والموقف الحق، فهنالك امام العلماء والخطباء والعاملين في الحوزات؛ الانترنت وتكنلوجيا الاتصال والفضائيات وغيرها الكثير من الطرق وسائل النشر السريعة، هذا من جهة، ومن جهة اخرى، فان الحكام اليوم، أضعف مما كانوا، والعالم بات اشبه بقرية كونية واحدة.

فهذه فرصة تاريخية لابد من الاستفادة منها، فيجب أن لا يقتصر العالِم على مسجده، ومن يصلي وراءه، بل يجب أن يكون ملماً ومطلعاً ومواكباً للعصر وما يجري في العالم، ولا يجلس حبيس مكانه ونطاقه الضيق.

وبذلك ننمي ونطور ونقوي الحوزة العلمية، حتى تكون مؤثرة في الساحة اكثر فاكثر، فيمكنها ان تأمر وتغير في الواقع، فحينما نفكر ونخطط ونعمل، كعلماء و كحوزات علمية، على تقوية البنية الاساسية للأمة، فإن الحكام لايجرؤون على التمادي في الظلم والانحراف والطغيان.

وهنا ننوه وننبه لكل من يعنيهم الأمر؛ أن العلماء والمراجع والفقهاء، وبخصوص ما نواجهه من تحديات، هم الى الآن لا يزالون في اطار الواجب الكفائي، والدور القيادي والمؤثر لعلماء الدين والمراجع.

واضح وجليّ في مجتمعنا الموالي، وكل من يحاول المساس ببلدنا وشعبنا عليه ان يعرف أن علماءنا، وبكل حكمة، يعرفون كيف ومتى يطلقون موقفهم وكلمتهم الحاسمة، فهم حتى الآن لم يأمروا بعد سوى بـ«الواجب الكفائي»، فعلماؤنا ـ وبحسب التعبير الشائع ـ يملكون أوراقا لم يستخدموها بعد فلا تعتقدوا أن الجهاد الكفائي هو آخر مالدينا، و على من يتربصون ببلدنا وشعبنا أن يعوا أننا حين تحين الساعة و نرى الخطر محدقا ببلدنا العراق، والبلاد الاسلامية، وليس من وسيلة لدفعه ومنعه، فإنه يمكن للعلماء الفقهاء أن يتخذوا موقفهم القاطع والحاسم بواجب الجهاد العيني او النفير العام ولنا في تأريخنا البعيد والقريب تجارب و امثلة مؤثرة دالة على ذلك.

ولابد أن نؤكد هنا، ومرة تلو اخرى على أن كل ما تجدونه من تماسك ووحدة وشجاعة لهذا الشعب، فهو نتيجة ولايته لأهل البيت (ع) فهي ولاية وطاعة عظيمة وتتجسد بقبولنا بقيادة دينية ربانية من قبل احد المراجع والعلماء الربانيين، فعلاج الامة الاسلامية ان ترجع لما أمر الدين وهو قيادة العلماء بالله.

• على العلماء أن يواصلوا طريق أسلافهم، ولا تغرهم المناصب، ولا يهابوا الابواق الاعلامية، والضغوط النفسية، ولا تخيفهم التهديدات وحملات التسقيط، وأن يعرفوا قيمة العلم ودور العالم حين يكون مستقلاً

• الدور القيادي والمؤثر لعلماء الدين والمراجع، واضح وجليّ في مجتمعنا الموالي، وكل من يحاول المساس ببلدنا وشعبنا عليه ان يعرف أن علماءنا، وبكل حكمة، يعرفون كيف ومتى يطلقون موقفهم وكلمتهم الحاسمة

حضور جماهيري وعلمائي حاشد لمواساة المرجع المدرسي بوفاة كريمته

شهدت مدن كربلاء المقدسة ومشهد المقدسة وطهران والكويت، مجالس فاتحة على روح المغفور لها كريمة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي – دام ظله – التي وافاها الأجل أثر حادث مؤسف، وقد توالت رسائل التعزية الى سماحته من جميع أنحاء العالم بهذا المصاب الأليم.

وفي مدينة كربلاء المقدسة، أقيم مجلس الفاتحة بحضور حاشد من مختلف شرائح المجتمع، وحضر عدد كبير من علماء الدين من كربلاء المقدسة والنجف الاشرف وبغداد والبصرة وسائر المحافظات، كما كان لابناء العشائر العراقية الأصيلة الحضور الفاعل في هذه المراسيم.

كما حضر عدد من الشخصيات الحكومية كان في مقدمتها محافظ المدينة المقدسة، الاستاذ عقيل الطريحي وعدد من المسؤولين المحليين، كما أرسل وزير الداخلية وكالةً، الاستاذ عقيل الخزعلي، وفداً خاصاً من الوزارة مثله مدير شؤون العشائر في الوزارة اللواء عبد الحسين العامري برفقة عدد من كبار الضباط والمسؤولين في الوزارة.

وفي مدينة مشهد المقدسة، حيث كان يقيم السيد المرجع المدرسي، حضرت شخصيات علمائية وثقافية وسياسية، مراسيم التشييع والفاتحة وتقديم واجب العزاء الى السيد المرجع المدرسي الذي كان في مقدمة موكب التشييع الى جانب ثلّة من أشقائه الكرام، من اصحاب السماحة؛ السيد هادي المدرسي والسيد عباس المدرسي والسيد علي أكبر المدرسي والسيد محمد باقر المدرسي والسيد حسين المدرسي. يذكر أن الفقيدة المغفور لها، هي عقيلة سماحة السيد جواد المدرسي، نجل آية الله السيد عباس المدرسي، الذي كان يرافقها في حادث السير مع أطفاله الذين خرجوا معه من الحادث بجروح طفيفة.

قرية "الصراري" في اليمن تدفع ثمن تشيّعها بمجزرة على يد التكفيريين

• صنعاء: حيدر عبد الجبار

في ظل صمت مطبق، وموقف متفرج من المحيط الاقليمي والدولي، تعرض شيعة أهل البيت، عليهم السلام، لمجزرة جديدة على يد الارهابيين التكفيريين، وهذه المرة في اليمن، وتحديداً في قرية الصراري بمحافظة تعز جنوب البلاد.

فقد اقتحمت مجموعة من مرتزقة النظام السعودي قرية الصراري، التي يقطنها غالبية شيعية، وأقدمت على استباحتها بالكامل، حيث أحرقت الدور والمنازل وقتلت عدداً كبيراً من الرجال واحتجزت عدداً آخر بمعية عدد من النسوة والاطفال.

وتعد قرية الصراري، من قرى محافظة تعز، وهي من المحافظات الوسطى الواقعة ما بين شمال وجنوب اليمن، جلّ أهلها من السادة الذين ينتهي نسبهم إلى الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، وهم ينتمون الى قبيلة «آل الجنيد».

ومنذ بداية العدوان السعودي على اليمن، كانت هذه القرية معروفة بمقاومتها ومناهضتها للعدوان، ولهذا السبب وبسبب انتمائهم الى التشيع، فقد فرض الحصار عليها منذ عام من قبل عناصر داعش والجماعات التكفيرية، وتم منع دخول الدواء أو المواد الغذائية إلى هذه القرية والقرى المجاورة لها، وقدمت في سبيل موقفها المناهض للعدوان السعودي، كوكبة من الشهداء في مختلف الجبهات القتالية.

وحسب بعض المصادر فان هذه القرية كانت تحظى بموقع استراتيجي يتنافس عليه طرفا الحرب في اليمن الامر الذي أدى الى أن تتعرض للمحاصرة طيلة الشهر الماضي، فكان مرتزقة العدوان السعودي يمطرونها بالقنابل والصواريخ في محاولة لاقتحامها لكنهم كانوا يلاقون مقاومة باسلة من قبل الاهالي المؤمنين.

وتؤكد مصادرنا الخاصة بأن رسائل استغاثة خرجت من القرية الى قيادات أنصار الله لإغاثة القرية من القتل والتشريد، بيد أنهم لم يتلقوا أي جواب او خطوة عملية لانقاذهم.

وبقي الأهالي، يواصلون الدفاع عن قريتهم وأعراضهم بكل بسالة وعزيمة حتى نفذت الذخيرة في تمام الساعة الثانية من فجر يوم الثلاثاء الموافق ٢٦ تموز الماضي، فكانت الفرصة لاقتحامها من قبل مرتزقة العدوان، وبدأت عمليات انتقام شنيعة؛ من قتل وسحل واعتقالات، و تم قتل العشرات من الرجال والشباب والتمثيل بجثثهم وحرق بعضها، وقد نشرت الجماعات التكفيرية صوراً عن هذه المذبحة.

و تم اعتقال من بقي في قرية الصراري من رجال ونساء وأطفال وتم فصل الرجال واقتيادهم الى جهة مجهولة لا يعرف شيءٍ عن مصيرهم، كما تم التعتيم اعلامياً، ومنع وسائل الاعلام من الدخول الى القرية.

وتضيف المصادر نفسها، بانه تم احراق عشرات البيوت في القرية، ثم قامت العناصر التكفيرية بحفر قبر الشيخ الصوفي العارف بالله، جمال الدين المتوفي منذ نحو ٤٤٠ عام، واخرجوا الرفات واحرقوه وقاموا بتدمير الضريح مع احراق المسجد المقام فوقه.

وما يزال التكفيريون يحتجزون ٣٥ امرأة مع أطفالهم الرضع كما تم خطف ٤٥ طفلاً من دون امهاتهم واقتيادهم الى جهة مجهولة.

نسترعي انتباه العالم الاسلامي والمنظمات الحقوقية العالمية!

الشيخ الزكزاكي يتعرض للشلل والعمى في معتقلات الجيش النيجيري

● إعداد: هـيأة التـــحرير

أكدت مصادر مطلعة أن عالم الدين المبلّغ والمجاهد الشيخ ابراهيم الزكزاكي، يتعرض لمعاناة شديدة بسبب استمرار اعتقاله لدى السلطات العسكرية النيجيرية منذ حوالي ثمانية أشهر على حادث اقتحام حسينية بقية الله في مدينة زاريا، فقد أصيب مؤخراً بشلل في ساقيه وفقدانه البصر بإحدى عينيه مع حالة صحية متدهورة.

جاء ذلك على لسان نجله محمد الزكزاكي الذي وجه رسالة مفتوحة الى الهيئات الحقوقية والمنظمات الانسانية العالمية محذراً من خطورة الوضع الصحي لوالده بسبب الاساليب اللاانسانية التي تتبعها السلطات النيجيرية مع والده المعتقل. وجاء في الرسالة: «أناشد جميع الذين يؤمنون بحق الانسان بالتمتع بالعدالة والكرامة أن ينضموا إليّ لمضاعفة الجهود وإطلاق سراح الشيخ الزكزاكي»، واشار الى «أن العنف الذي مارسه الجيش النيجيري ضد المسلمين في هذا البلد، فقد قتلوا جميع اخواني وكذلك النساء والاطفال، وكان بين القتلى أطباء وممرضات ومهندسون وصحفيون وتلاميذ، وفقد آلاف الاشخاص، وتم دفن ٣٤٠ شهيدا في مقابر جماعية واعتقل المئات من المواطنين»، في اشارة منه الى حادثة الاقتحام التي جرت في شهر كانون الاول من العام الماضي.

ولفت نجل الشيخ الزكزاكي الى أن الحكومة النيجيرية عمدت الى فبركة جديدة لحرف الحقائق، عندما تزعم أن والده يخضع للاقامة الجبرية «لانه شخص معرض للخطر»! وأنها انفقت على هذه المهمة مبلغ خمسة ملايين دولار لضمان سلامته!!

هذا الكلام مطابق تماماً لما يتشدّق به النظام السعودي بمخاطبته الشيعة في المنطقة الشرقية، بأنكم «يجب ان تدافعوا عن الحكومة، لانها توفر لكم الحماية من التكفيريين الذين يريدون القضاء عليكم».

وحتى الآن لم يصدر أي تقرير محايد يكشف ملابسات الحادث الاجرامي الذي ارتكبه الجيش النيجري باقتحامه حسينية بقية الله، والقيام بتلك المجزرة المروعة التي ذهب ضحيتها المئات من النساء والرجال والاطفال، والمسؤول عن هذه الجريمة التي يجب أن يقدم الى المحاكمة أمام الشعب النيجيري وامام العالم.

باعتقالهم الشيخ محمد حسن الحبيب

السعوديون يهربون من الفشل في الخارج باجراءات قمعية في الداخل

● الهدى: كربلاء المقدسة

أقدمت السلطات السعودية في الثالث من شهر شوال المنصرم، على اعتقال سماحة الشيخ محمد حسن الحبيب، أحد ابرز علماء الدين في القطيف، مع ثلاثة من اصدقائه في ظروف غامضة وتم اقتيادهم الى مركز المباحث دون توجيه أي تهمة واضحة لهم.

ويأتي هذا الاعتقال في ظروف سياسية وأمنية متوترة في السعودية، متأثرة بإسقاطات سياسية وأمنية أخرى خارج الحدود، وتحديداً في الساحة العراقية والسورية واليمنية وحتى الدولية، متمثلة بتراجع التأثير السعودي في الميادين المذكورة، مع تراجع خائب وهزائم منكرة لقوى التكفير والارهاب في العراق وسوريا واليمن أمام صمود ومقاومة الأهالي هناك.

وبما أن الشيخ الحبيب يُعد اليوم أحد ابرز الوجوه العلمائية التي تدعو الى الإصلاح السياسي في السعودية وتدعو الى نبذ التمييز الطائفي والاحتكام الى مبدأ المساواة في المواطنة والعدالة والحرية، فان النظام الحاكم في الرياض، يجد في اعتقاله في هذه البرهة الزمنية بالذات، في محاولة منه لجسّ نبض الشارع الشيعي في المنطقة الشرقية.

يذكر أن مدينة القطيف تعرضت لاعتداء ارهابي جديد وقع بالقرب من مسجد في المدينة مطلع شهر تموز الماضي، وحسب الظاهر، فان المهاجم الانتحاري كان يروم دخول المسجد وقت صلاة المغرب، إلا ان وجود المراقبة والحذر من الاهالي ومسؤولي المسجد دفعه لأن يفجر نفسه خارجه ملحقاً اضراراً باحدى السيارات، فيما تحول الى أشلاء مقطعة.

كما تعرضت المدينة المنورة لاعتداء ارهابي هو الأول من نوعه في هذه المدينة المقدسة، عندما فجر انتحاري نفسه بالقرب من مرآب للسيارات خارج الحرم النبوي الشريف.

المراقبون للشأن السعودي يرون في هذه التحركات، محاولات محمومة من السعوديين للظهور امام العالم بأنه احد ضحايا الارهاب، وعليه مسؤولية مكافحته، وهذا ما يسوّغ له أمام الرأي العام العالمي والمنظمات الحقوقية شن حملات الاعتقال فيمن تراه يشكل خطراً عليها في الحال الحاضر او المستقبل، ولكن في الوقت نفسه، فان السلطات السعودية تجد نفسها تندفع رغماً عنها نحو المزيد من الازمة سياسياً وأمنياً على الصعيد الداخلي والخارجي.

فهي لن تكسب أي امتياز من الاعتقالات سوى المزيد من النقاط السوداء في ملفها لحقوق الانسان امام العالم.

النظام الخليفي متورط في مستنقع الارهاب والشعب مصرٌّ على الإطاحة به

● المنامة: توفيق جاسم

كُتب على شعب البحرين أن يبقى سيف الجلاد مسلطاً على رقابه، فيقطعها الواحدة تلو الأخرى، ودون ذلك ضحايا القهر والظلم والانتهاكات اليومية.

تعوّد شعب البحرين منذ أن تفجرت ثورته عام ٢٠١١ أن لا يأتي عيد الفطر إلا وقد قدم قرباناً لله لنيل حريته وحقوقه.

هذا العام، قبيل عيد الفطر لعام ١٤٣٧هـ كان القربان هي الشهيدة فخرية مسلم، ففي لحظة ارتباك وهي تقود سيارتها بسبب مرور أحد طغاة بني خليفة، وما يحدثه من إبعاد للسيارات ليسير موكبه ولو على أجساد الناس، اطلق حرسه الخاص رصاصاً باتجاهها خوفاً من أن يكون ارتباكها وراءه عملية اغتيال.

ولأن الحكم الخليفي يسير بشكل متقدم حتى على خطى «سيده معاوية» ومنهجه الأموي: (خذوهم بالظنّة واقتلوهم بالتهمة). فلم تنتهِ تلك اللحظات حتى كانت الأم التي تقود سيارتها مع ابنتيها قد فارقت الحياة.

في البدء زعم النظام الحاكم أن هناك محاولة اعتداء على موكب ذلك الطاغية دون ذكر اسمه، ولكن الكذبة لا تتناسب مع ضحية وهي امرأة في سيارة عائلية، فتم سحب تلك الكذبة، فاستعار النظام من خزانة أكاذيبه كذبة جديدة، وهي أن تفجيراً قد وقع وأدى إلى ارتباك المرأة فاصطدمت مما أدى إلى موتها!

التفجير المزعوم، لم يسمع به أحد، وليس له أدنى أثر. ولكنه الحكم المتفرعن حين يريد تبرير جرائمه. علماً أن الصور كانت واضحة لوجود آثار اختراق طلقات نار باتجاه زجاجة نافذة باب القيادة.

وليكتمل مسلسل التضليل الاعلامي، أعلنت أجهزة النظام الخليفي أنها القت القبض، بعد أسبوع، على «خلية تنظيمية» من ثلاثة شباب من قرية المعامير، قرب موقع جريمة قتل الأم فخرية، ولأن المطلوب تشويه البلدين؛ إيران والعراق، فأعلنت وزارة الداخلية أن افراد الخلية المزعومة تدربوا في هذين البلدين لدى الحرس الثوري والحشد الشعبي!!

الشباب الثلاثة تعرضوا لتعذيب وحشي في السجون، أدى إلى استشهاد أحدهم وهو حسن خليل الحايكي، بعد ٢٥ يوماً من اعتقاله. وجاءت جريمتا القتل هذه وسط شهر مليء بظلم متطور للنظام الخليفي، فقد أعلن النظام وبدون مقدمات، عن حل جمعيتين إسلاميتين هما؛ التوعية الإسلامية والرسالة الإسلامية، و أعقبها بحل، على دفعات، لكبرى الجمعيات السياسية، وهي جمعية الوفاق، ثم إسقاط الجنسية عن أحد أبرز علماء الدين البحرانيين وهو؛ سماحة الشيخ عيسى قاسم، مع سلسلة من الاعتقالات والتحقيقات مع علماء من مريدي الشيخ قاسم.

انتفض محبو ومريدو الشيخ فتجمهروا واعتصموا أمام بيته في منطقة الدراز، رغم فصل الصيف الحار وما يزالون حتى كتابة هذا التقرير، يواصلون الاعتصام، كما اعتقل بسبب هذا التجمهر عالم الدين السيد مجيد المشعل رئيس المجلس العلمائي في البحرين، والذي تم حله قبل عامين، مع سلسلة لا تنتهي من المضايقات على ائمة المساجد ومنع إقامة صلاة الجمعة في أكبر جوامع البحرين وهو جامع الإمام الصادق، عليه السلام، في الدراز.

ولكن الظلم الاسطوري للنظام الخليفي، يقابله صمود فولاذي عجيب لشباب الثورة في البحرين الذين ما يزالون يملأون الميادين والشوارع مطالبين بحقوقهم ومصرّين على قيادة الثورة حتى تحقيق هدفها الأساس الذي اتفق الجميع عليه، وهو إسقاط النظام الخليفي وإقامة نظام حكم عادل ديمقراطي مستقل.

من يوقف خراب العراق؟!

● الشيخ فارس الجبوري

من الصعب ان يصدق انسان ما يجري في العراق، لو لم يشاهد بعينه هذا الخراب، فبلد النفط والثروات، والنهرين والسواد والحضارات، والانبياء، والاوصياء، والرسالات، والعلماء، والشهداء، وتنوع الثقافات، بلدٌ علّم الانسان الكتابة، وفي بابل سنّ للبشرية التشريعات، وغرس في عمق التاريخ الجنائن المعلقات؛ عراق علي والحسين والجوادين والعسكريين، عليهم السلام، وهذه تكفيه عن كل ما سواها، فكيف لبلد كهذا ان يفترش اطفاله الارض للدراسة؟! وبعض مدارسه، والى اليوم طينية او اكواخ، او كرافانات، حتى في بعض مراكز المحافظات، وصارت مشافي أهله خارج البلاد، وكهرباء صُرف لها من الاموال ما يكفي عدة بلدان، ولاتزال لا تسد نصف حاجة البلاد، والزراعة التي شُلت، والصناعة التي اندثرت، وحالة الفقر والبطالة التي انتشرت، ومشكلة السكن التي تفاقمت، ومستويات الفكر والثقافة التي انحدرت وغيرها كثير، وكل هذا في جانب وفقدان الامن وضعف المؤسسة الامنية في جانب آخر، فما زلنا نقدم المئات بين شهيد وجريح بين مدّة واخرى، ومع كل هذا يتقاضى سياسيونا أعلى الاجور على مستوى العالم، والحكومة ودوائرها تستنزف كل الميزانية، ولا تقدم للبلد شيئا يذكر عدا سرقة قوت فقرائه، والقائمة لا تنتهي، حتى اننا لا نجد جانبا خدميا مقبولاً نشير اليه، وقد صُرف على هذه الخدمات ما يزيد على ألف مليار دولار!! فما هو مكمن المشكلة وأين يكمن الحل؟

● محاصصة طائفية أم فئوية ذاتية؟

كثيرا ما نسمع بالمحاصصة الطائفية، وإنها سبب خراب العراق، ولو تمعّنا في هذا القول لوجدنا عليه الكثير من الملاحظات؛ ذلك اننا لا نجد للتعدد الطائفي – عقيدة و أحكاما وشعائر– أي تناقض على ارض الواقع مع بناء الدولة، وليس هناك تناقض بين هذه الطوائف فيما يخص الالتزام بالدستور والقوانين، فليس في تشريعات الطوائف او معتقداتها مايشجع على السرقة والنهب او الخراب، بل على العكس من ذلك، فهي تحرمه تحريماً مطلقا، إذن؛ فما هو دخل الطوائف في هذا الخراب؟!

ولو افترضنا ان المحاصصة جعلت كل فرد في السلطة يعمل لطائفته فقط، فإنه بالمحصلة سنرى كل الطوائف معمّرة ومتنعمة، ومن ثم سنرى بلداً معمرا، لكن حتى هذا لم يشهده العراق بكل طوائفه، فلا الساسة الشيعة قدموا شيئاً للتشيع كمذهب، وللشيعة كمواطنين، وكذا الامر بالنسبة للسُنة والكرد وغيرهم، فأي طائفية هذه؟! إنها محاصصة سياسية حزبية فئوية مقيتة، ومن الظلم والجناية ان نطلق عليها محاصصة طائفية، وكفى ما يروجه الساسة ووسائل اعلامهم، من ضحك على الناس، وتسويق للمصطلحات في اللاشعور للناخب البسيط، وتحويل للشعور نحو الطائفة تحويلاً مزيفاً بعيدا عن الواقع.

● أزمة كفاءات (تكنوقراط) أم أزمة ضمير؟

تعد الكفاءة والخبرة ولاسيما الادارية منها، هدفاً لكل المؤسسات في العالم؛ حكومية كانت أم غيرها، ويحتاج تحصيلها الى سنوات وعقود من العمل الدؤوب، وفقدانها يعد مشكلة كبرى؛ إلا ان هناك مشكلة اخرى غاية في الخطورة تنخر مؤسسات بلدان قليلة في العالم ومنها العراق، ألا وهي مشكلة فقدان الضمير والشعور الانساني، فإذا فقد الساسة شعورهم بمعاناة الفقراء وجوع الجياع وآلام المرضى ودموع الثكالى، تنهار القيم والموازين، وتصبح السلطة وسيلة لخدمة الذات لا خدمة الشعوب، بل تصبح وسيلة سرقة وسلب الفقراء لقمة عيشهم، وسلب المرضى علاجهم، وسلب الاطفال بنايات مدارسهم، واذا فُقد الضمير، أُبعدت الكفاءات وحُوربت، لاختلاف منهج الكفاءات البنّاء عن منهج فاقدي الضمير الهدام، فيحل الدمار، وينتشر الفقر والمرض والجهل، وتندثر الخبرات وتموت مع الزمن، ولو قُدر للضمير أن يصحو بعد حين، فاننا سنحتاج الى عقود اخرى من الزمن لاستحصال هذه الخبرات من جديد، ويالها من خسارة عظيمة! لقد عجز الساسة عن توفير مفردات البطاقة التموينية، بينما وفرها التاجر البسيط، وكذا مقاعد الدراسة للأطفال، فتصدى لها المعلم البسيط بفتح المدارس الأهلية، وكذا الكهرباء فوفرها صاحب المولد البسيط!

● مشكلة دستورأم مشكلة القائمين عليه؟

كثيرا ما يتشدق ساسة العراق بأن المشكلة الاساسية انما تكمن في الدستور، وانه مليئ بالالغام، وانه سبب خراب البلاد والعباد؛ والحقيقة ورغم كل مافي الدستور من ثغرات، بيد أنه لم يتسبب بأي مما لحق بالبلد من خراب، فالدستور ضمن الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمواطنين؛ من سكن وتعليم وصحة ومعاش وغيرها، ونصّ على ان الثروة ملكاً للشعب، في حين اننا لا نرى سكناً ولا صحة ولا تعليماً بالمستوى المطلوب، بينما يقابله فساد وسرقات ونهب للمال العام لم يسبقنا اليها أحد من العالمين! فكيف لنا ان نحمّل الدستور مسؤولية هذا الخراب؛ فبلدان المنطقة سبقتنا بعقود ودساتيرها لا تملك إلا نزراً بسيطاً من ايجابيات دستورنا.

● الاعلام اداة وصول المفسدين

الاعلام أداة غرس القناعات لدى الشعوب، وهو يتحمل مسؤولية عظيمة في توجيه الناس نحو الافضل، ولكن؛ – ومع كل الاسف– فان الاعلام وفي كل بقاع الارض فاقد لحقيقة دوره ورسالته الانسانية في خدمة الشعوب، وتكوين الوعي؛ وذلك بسبب فقدانه الاستقلالية، وهذا ينطبق على أغلب الإعلام العراقي، فهو تابع للاحزاب، بل وان اساس دوره هو دعم هذه الاحزاب واهدافها، ولما كانت اهدافها فاسدة؛ فان حماية الفساد صار اليوم هدف هذا الاعلام وغايته، لذا فان الاعلام اليوم تخلّى عن ضميره الحي؛ ليصبح اداة لخدمة الفاسدين، ولخداع الشعوب، وهو أحد أهم أسباب هذا الخراب.

● الديمقراطية العراقية ودمج السلطات

ان الدولة المدنية ونظام الحكم الديمقراطي انما يقوم على اساس الفصل بين السلطات، إلا الديمقراطية العراقية الفريدة من نوعها؛ فانها تقوم على الجمع بين السلطات؛ فترى الاحزاب تسيطر على البرلمان التشريعي، ومن ثم تتقاسم الحكومة التنفيذية، وتعرّج على الوكلاء، فالمدراء العامين، فالموظفين فقادة الجيش، بل وكافة الهيئات المستقلة، بما فيها مفوضية الانتخابات! وامتدت ايديهم حتى الى السلطة القضائية! وكل هذه المؤسسات والسلطات، انما تخضع في النهاية لرئيس الحزب؛ فاصبحت كل مؤسسات الدولة بيد رؤساء الكتل الذين لا يتعدون العشرة اشخاص، بل حتى السلطة الرابعة (الاعلام)، هم من انشأها ويديرها، ولهذا لا نعلم من يحاسب من؟! ومن يراقب من؟! ومن يقاضي من؟! والغريب ان كل الاحزاب تقول ان تشكيل الحكومة من قبل الكتل البرلمانية هو سبب الخراب، وحينما انطلقت التظاهرات تريد حكومة لا تشكلها الأحزاب، سارع قادة الكتل الى التوقيع على ما يسمى بوثيقة «الشرف»! فاتفقوا بموجبها على ان الحكومة تشكلها احزاب البرلمان خلاف ارادة الشعب، وفعلا طبقوا هذا الميثاق خلافا لكل مواثيقهم السابقة التى لم ترَ النور!

ان هذا الواقع لابد من ان ينتهي، ولابد من الفصل بين هذه السلطات، اذ يجب تكريس دور الاحزاب في السلطة التشريعية في البرلمان، لتدافع عن حقوق الشعب وتحاسب الحكومة، لا ان تكون هي البرلمان والحكومة معا، و إلا فان الخراب يستمر.

الديمقراطية.. إرادة شعب أم إرادة متنفذين

تنادي بعض الدول بالديمقراطية، وتريد ان تسوّقها للعالم، بل وتصرف المليارات وتخوض الحروب وتقدم التضحيات لتحقيقها، وهذا السلوك بحاجة الى وقفة تأمّل، فهل تريد فرض الديمقراطية لأجل مصلحة الشعوب؟ واذا كان الامر كذلك، وان مصلحة الانسان هي الغاية؛ فلماذا فرضت هذه الدول حصاراً على العراق في تسعينات القرن الماضي، حتى أعادوا شعب العراق الى القرون الوسطى؟ وكان بامكانها القضاء على صدام دون الحاجة الى هذا الحصار؟ فأين مصلحة الشعب من هذا؟ وهل ان مصلحة السوريين، في تدمير شامل لبلدهم لتحقيق الديمقراطية من قبل دول مثل؛ تركيا والسعودية والبحرين وقطر، ومن ثم ننتهي الى حوار بين السلطة والمسلحين؟ ولماذا لا تحرك هذه الدول ساكناً ازاء دكتاتورية السعودية المتحجرة التي تعدم رموز الطوائف لمجرد كلمة؟ وأين هي ديمقراطيتها مما يجري في البحرين؟ إذن؛ لماذا تتكالب هذه الدول على الديمقراطية؟

يتصور الكثيرون ان الديمقراطية في الغرب تمثل ارادة الشعوب، والحقيقة هو أنّ الديمقراطية في الغرب، وفي غير الغرب انما تمثل ارادة المتنفذين، وما الشعوب إلا اداةً لتنفيذ ارادة هؤلاء، ولذلك نرى ان دولة كالولايات المتحدة الاميركية، تتأثر انتخاباتها ببعض الجهات المتنفذة كاللوبي الصهيوني، والمرشح الذي لا يلبي رغبات هذا اللوبي، مصيره الفشل لا محالة، ان الاميركيين (الشعب) أداة للمتنفذين عبر ما يتلقاه الناخب من توجيه عبر حملات انتخابية في وسائل الاعلام، من خلال انفاق اموال طائلة، ومن يتحمل التكلفة فانه يتحملها لأجل تحقيق اهداف معينة، ويكون هو الموجه لإرادة الشعوب، حتى إن كان تافها مثل القذافي الذي وجه الناخب الفرنسي بتقديم اموال طائلة لمرشح رئاسي بأن يفوز في الانتخابات.

اما ديمقراطيتنا فان المتنفذين فيها لا يريدون للحكام ان يكونوا الى صفهم في قرارات دولية، كما هو شأن الولايات المتحدة، بل ان المتنفذين هم دول خارجية تريد ان

كفى ما يروجه الساسة ووسائل اعلامهم، من ضحك على الناس، وتسويق للمصطلحات في اللاشعور للناخب البسيط، لتحويل الازمة الى «المحاصصة الطائفية» في حين هي محاصصة سياسية وحزبية مقيتة

لقد عجز الساسة عن توفير مفردات البطاقة التموينية، بينما وفرها التاجر البسيط، وكذا مقاعد الدراسة للأطفال، فتصدى لها المعلم البسيط بفتح المدارس الأهلية، وكذا الكهرباء فوفرها صاحب المولد البسيط!

تسيّر قرارات الداخل ومواقف الخارج على حد سواء، وهؤلاء يصرفون الاموال، ويدعمون الفاسدين وخراب البلد لتحقيق مصالح بلدانهم، بل وحتى مصالح تجار وشركات لهم، فصارت الديمقراطية وسيلة جديدة لتنصيب الحكومات الخانعة، التي تتعاون مع من يدعمها وينصبها لتنفيذ أجندة الداعمين، فأي ديمقراطية يعيشها العراقيون ومناصبهم السيادية تتوافق عليها الدول الكبرى والدول الاقليمية، بما فيها تلك الدول التي تعود الى حقبة العصور الحجرية!

● نظام الحكم الاسلامي هو الحل

خلق الله البشر، وهو أعلم بما يصلح امرهم في الدنيا والآخرة؛ فشرع لهم الشرائع والسنن التي تنظم حياتهم في كل جوانبها العبادية والسلوكية؛ حتى لم يترك امراً إلا وبيّن احكامه، ولما كان شكل القيادة والحكم من اخطر هذه الامور؛ فلاشك ان الله – تعالى– وضع له الموازين والاسس الواضحة، فوضع شروطا شديدة الحساسية لمن يتولى السلطة، وجعل التقوى والعدالة والكفاءة والعلم، شروطاً لا يُستغنى عنها بأي حال من الاحوال، على خلاف كل اشكال الحكم الاخرى في العالم، وبخاصة الحكم الديمقراطي الذي لو تمعّنّا فيه لوجدنا أن لا ارادة حقيقة للشعب فيه، بسبب التوجيه الاعلامي المضلل، الذي يقنع الناخب بالفاسد، وينفره من الصالح، ومادام خراب بلدنا يكمن في أزمة الضمير والشعور الانساني، وعدم التقوى وحب الدنيا؛ فان علاج هذا المرض انما يتمثل بالحكم الاسلامي، ولا ادري لماذا نحن المسلمون نترك شكل الحكم الذي امرنا الله به، ونستعيض بدلاً عنه بشكل حكم آخر رغم ايجابياته، الا ان فيه من المثالب ما يكفي لإعادة النظر فيه.

ولعل قائلا يقول: ان فكرة العودة الى نظام الحكم الاسلامي، بعد التصويت على نظام الدولة المدنية يحتاج الى كثير من الوقت، وما نريده اليوم هو حل سريع لما نمر به، وهذا كلام رغم ان عليه ما عليه من الملاحظات في جانب منه، فان الحل السريع الآني هو مطلب حقيقي .

● حلول في ضوء الديمقراطية والدولة المدنية

وبناء على حقيقة ان الديمقراطية هي تنفيذ الشعب لإرادة المتنفذين، وان الشعوب ما هي إلا اداة لتحقيق هذه الارادة؛ فقد اصبح جلياً ان تصحيح مسار الفساد وفق لعبة الديمقراطية، انما يكون بيد المتنفذين، فالمهم هو تحديد الجهات المتنفذة، ومسؤوليتها عن ما حلّ بالعراق من الخراب، ومن لها القدرة على الاصلاح؟ ففي العراق توجد عدة قوى نافذة على الساحة:

١– الدول الكبرى والدول الاقليمية

حيث ان لبعض هذه الدول مطامعها في ثروات هذا البلد، والبعض الآخر جعلت منه ساحة لتصفية الحسابات، غير مهتمة لمصيره او مصير شعبه؛ فجعلته ساحة حربها المتقدمة، وهذه الدول هي مصدر هذا الخراب، وهي من تموله، وتهندس له ليبقي العراق خراباً والى الابد.

٢– الاحزاب السياسية

وهي تمتلك زمام السلطة، ولو ارادت خدمة البلد، وانهاء خرابه؛ لتحقق ذلك، ولكنها ومع كل الاسف غير مهتمة لذلك مهما ادعت وقالت، فنظرتها الفئوية والانانية والذاتية جعلت مصلحة اغلبها في استمرار خراب البلاد، وهي السبب الاول في خرابه، والمستفيد الاكبر بعد الدول الخارجية من هذا الخراب، وهي أداة تنفيذه، ومن ثم فهي المسؤولة قبل غيرها باصلاحه؛ لانها علّة الخراب، وهي أولى بإصلاحه من غيرها.

٣– الإعلام

ان الخيرين من اعلاميين وغيرهم، يتحملون اليوم مسؤولية التأسيس لإعلام حر نزيه، يحمل شرف الإعلام ورسالته الحرة في تكوين الوعي الحقيقي، الذي يخدم العدل والانسانية والشعوب، وبخاصة في زماننا هذا الذي صارت فيه اكثر وسائل الاعلام تاثيرا وهي مواقع التواصل الاجتماعي صارت في متناول الجميع، اننا اليوم بحاجة الى ثورة اعلامية تثقيفية تغرس الوعي الديني وما يتفرع منه من وعي سياسي واجتماعي واقتصادي؛ للقضاء على الواقع الفاسد.

٤– المؤسسة الدينية

اما المؤسسة الدينية فهي المتنفذ الوحيد الذي اثبت انه، وفي أخطر المنعطفات المنقذ الوحيد لهذا البلد، وفي اكثر من مناسبة، بداية من حلحلة العملية السياسية، مروراً بمنع اندلاع الحرب الاهلية، وصولا الى فتوى الجهاد المقدس التي حفظت ملايين الارواح، وصانت الاعراض والمقدسات.

● المؤسسة الدينية وايقاف الخراب

على الرغم مما للمؤسسة الدينية من ثقل كبير في العراق، إلا انها ارادت للعملية السياسية ان تبني نفسها بعيدا عن تدخلها المباشر، مع مساعدتها بين الحين والآخر بحل العقد الخانقة، وبموافقة الساسة انفسهم لا فرضاً عليهم، وبموازاة هذا الدور حمّلت المؤسسة الدينية الانسان مسؤوليته، وحاولت توعيته بدوره الخطير وفق «لعبة الديمقراطية»؛ فوجهته بضرورة انتخاب الاصلح، وضرورة عدم إعادة انتخاب الفاسدين.

وفي الحقيقة فان هذا الدور لا يكفي؛ فمعلوم ضعف ثقافة الناس السياسية وحاجتهم وابتزاز الساسة لهم من جانب، ومن جانب آخر لم يترك قانون الانتخابات، ولا سيطرة الاحزاب من مجال لدخول اشخاص آخرين مؤثرين حلبة الصراع السياسي؛ فالاحزاب أرست قواعد سيطرتها، ولا يجد الناخب أحدا غيرها لينتخبه، ومن يدخل جديداً فانه يدخل تحت رايتها ودعما لها ولفسادها.

● خيارات متاحة

لعلّ امام المؤسسة الدينية خياران:

١– أن تتخلى عن مسؤولية الاصلاح، وتنسحب كلياً من التواصل السياسي، وهنا يجب ان تحيط اتباعها علما بذلك؛فالناس ساكتون عما يجري، لانهم قلدوا شؤونهم لهذه المؤسسة، مما يوهمهم بأنها تقوم بمسؤولياتهم نيابة عنهم، ولو كان لهم دور لابلغتهم القيام به، ولذلك تراهم (الناس) لايحركون ساكنا تجاه هذا الخراب. وهذا الخيار قد يؤدي الى مشاكل كارثية، او يؤخر ايقاف الخراب لا محالة.

٢– ان تتحمل مسؤولية الاصلاح، وذلك عبر تأسيس مؤسسة سياسية قوية تكون تحت حمايتها وبدعمها وتختار لها الاتقياء الكفوئين، وهذا أمر متيسر لها وليس صعبا عليها، وهذا التيار الجديد يخضع للمحاسبة الشديدة من قبلها وتحيطه بمجموعة قوية من المستشارين والخبراء، ولا أشك في نجاحه في الانتخابات وفي تأدية الدور الاصلاحي المطلوب، واذا كانت المؤسسة تتخوف من امكانية انحراف بعض هؤلاء عن قيمها، وانها ستتحمل مسؤوليتهم، فانها قادرة على إقالة ومحاسبة المقصرين قانونيا.

● المثقفون ومسؤولية الاصلاح

ان مسؤولية الاصلاح ليست منحصرة بأحد، وانما هي مسؤولية الجميع؛ فلا يمكن اعفاء اي من شرائح الشعب، وبخاصة المثقفون عن تحّمل مسؤولياتهم، وتشكيل جهة نافذة تؤثر في العملية الديمقراطية يكون لها ثقلها، وتأثيرها في عملية الاصلاح، فأين نحن من اللوبي الصهيوني الذي يرسم ملامح سلطة اكبر دول العالم، في حين اننا لا نفكر في بناء جهات نافذة تحدد ملامح سلطتنا، وتنهي خراب بلادنا، وبدون تحمل المؤسسة الدينية والمثقفين ومنظمات المجتمع المدني مسؤوليتها في ايقاف الخراب فان الفاسدين سيبقون على سرقاتهم وتداول السلطة بينهم الى الابد.

● مسؤولية الشعب:

على الرغم من ان الناخب في اللعبة الديمقراطية هو اداة لتنفيذ ارادة المتنفذين، الا ان المفسدين مع ذلك لا يصلون سدة الحكم إلا عن طريقه؛ فعليه ان يتحمل مسؤولية كبيرة في رسم غد افضل له وللأجيال من بعده، ان مشكلة الشعوب تكمن في غياب الوعي الديني وما يتشعب منه من وعي اخلاقي وسياسي، اذ بغيابه تفعل الانانية فعلها المقيت؛ فترى احدنا ومع علمه بان هذا السياسي هو احد اعمدة خراب البلاد والعباد إلا انه ومع ذلك ينتخبه؛ لوعد بوظيفة ما، بل ويسعى وبكل ما يستطيع لاقناع الناس بانتخابه؛ وما هذا الا بسبب الانانية والذاتية. ولو امتلك وعيا دينيا ما فعلها، ولو امتلك وعيا اقتصاديا ما فعلها؛ حيث انه قبل بفتات حقه و أضاع على نفسه كل شيء بانتخابه للفاسدين الذين سيحرمونه من كل حقوقه في الصحة والتعليم والعيش الرغيد، فما نفع الوظيفة مقابل فقدان كل هذا؟! فينبغي على المؤسسات الدينية والمجتمعية ان تعمل جاهدة لغرس الوعي الديني في نفوس الشعوب؛ لانه صمام الامان لها وبدونها سيفقد السياسي ضميره وتصبح الانانية والمصلحية هي معيار الناخب.

● المطالبة الفاعلة بالحقوق ..

«ما ضاع حق وراءه مطالب»؛ حكمة بالغة نحتاج اليوم ان نعيها؛ فالحقوق تؤخذ لا تعطى، ونحن أحوج ما نكون الى التمييز بين الصبر والرضا والقناعة وبين الخنوع والذل والهوان، نعم نحتاج الصبر ولكن في طريق نيل الحقوق لا الصبر على سلبها منا، ما أعجب سكوت الشعب و أموالـه تسلب امام عينه جهارا نهارا، وهو يصبر على شرذمة من الفاسدين، وقد عاثوا في بلده الخراب، وهو يلوك الفقر والجوع والمرض والتخلف!

وهكذا؛ فما زالت الديمقراطية لا تمثل ارادة الجمهور، وإنما ارادة المتنفذين، ولا تضمن العدالة والانصاف للناس؛ صار لزاماً على الناس أن يفكروا بتطبيق نظام حكم السماء، الذي يضمن لا محالة تحقيق العدالة والمساواة، واذا كان هذا الامر يواجه عقبات خارجية وداخلية؛ فان انجع الحلول الآنية الممكنة الآن هو ان تتدخل المؤسسة الدينية، وتزيح الفاسدين ووفق النظام الديمقراطي، وان تتحمل هي مسؤوليتها بايجاد بديل سياسي ذي ضمير، وتحمل الجماهير مسؤوليتها ايضا، بانتخاب هذا البديل، واما القاء المسؤولية على الشعب من غير توفير القيادة السياسية التي ينتخبها فهذا امر لا يؤدي الى نتيجة، حتى ان الله –سبحانه وتعالى– حينما حمّل الفرد مسؤولية صنع مصيره، وتغير ذاته، فانه وفر له القيادة التي يتوجه اليها، ولم يتركه تائها؛ فينبغي بالمؤسسة الدينية توفير القيادة السياسية الصالحة التي ينتخبها الشعب، وان ترعى وتحمي هذه القيادة من المتنفذين خارجيا وداخلياحتى تصبح قادرة على تحمل مسؤولياتها، وان يسندها في هذه المهمة المثقفون والاعلام والشعب؛ لتحقيق هذه الغاية، وفي الوقت نفسه تعمل هذه المؤسسة ومعها كل مؤسسات المجتمع المدني والاعلام على ترسيخ الوعي الديني، الكفيل الحقيقي بانهاء كل الانحرافات والخراب على مستوى القواعد الشعبية والقيادات على حد سواء، فخراب العراق لا تتحمل مسؤوليته النخبة الحاكمة فقط، بل عموم المجتمع فقلما نجد معلماً او طبيباً او مهندساً او مقاولاً يقوم بمهامه على الوجه الصحيح، وماهذا إلا بسبب ضعف الوعي الديني، فايقاف الخراب يتوقف على هذا الوعي اولا واخيرا.

أحوج ما نكون الى التمييز بين الصبر والرضا والقناعة وبين الخنوع والذل والهوان ... نعم نحتاج الصبر ولكن في طريق نيل الحقوق لا الصبر على سلبها منا

حوارات حول القرآن الكريم (٣٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤﴾

حوار حول سورة البلد - القسم الأول

(من الآية الأولى إلى الآية الرابعة)

تمهيد: سورة البلد مكية، آياتها تسع، وهي السورة الرابع والثلاثون في ترتيب النزول، والتسعون في ترتيب القرآن الكريم.

وجاء في فضل السورة عن أبي عبد الله الإمام الصادق، عليه السلام، أنه قال:

«من كان قراءته في فريضته ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ كان في الدنيا معروفا انه من الصالحين، وكان في الآخرة معروفا ان له من الله مكانا، وكان يوم القيامة من رفقاء النبيين والشهداء والصالحين».[1]

• إعداد: جواد السيد سجاد الرضوي

• الكَبَد وامتحان العقبة

* لكل سورة اطار عام؛ فما هو الاطار العام لهذه السورة المباركة؟

– حينما يولد ابن آدم، تتساوى في كيانه فرص الخير والشر، ولا يزال يختار، ثم يستفيد من فرص الخير أو الشر؛ الواحدة بعد الأخرى حتى تميل كفته نحو ما اختار.

ان فرص الخير هي العناصر النورية التي لو رجحت، حملت الإنسان الى الجنة؛ بينما فرص الشر هي العناصر النارية التي لو تكاثفت، هوت به الى جهنم وساءت مصيرا.

ولا أعرف شيئا يجري فيه تحول ذاتي كالإنسان؛ انه يتمحض بالتالي للجنة او للنار؛ هنالك لا يعود مختارا، ولا يعود يملك حرية اختيار واحد من النجدين؛ بل يبقى كما اختار اولا: اما الى جنة النور خالدا فيها، او الى جهنم النار خالدا فيها؛ او لبعض الوقت.

ان القسم الاول من السورة يبصرنا بأنفسنا، واننا في كَبَد (الارض والمكان). اما القسم الثاني فيذكرنا بضرورة اقتحام العقبة، وتجاوز المنعطف الخطير الذي يجد الانسان نفسه بين أمرين: بين السقوط في أشراك الهوى، او التحليق في سماء الحق.

وبعد ان يبين مَثَلَين لاقتحام العقبة؛ هما: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾، ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾، يهدي الى قمة التحول الايجابي عند البعض المتمثلة في الايمان، وَتَوَاصَي بِالصَّبْرِ، وَتَوَاصَي بِالْمَرْحَمَةِ.

كما يشير في السياق – خاتمة السورة – الى التحول السلبي عند البعض الآخر متمثلا في الانحياز الى ﴿الْمَشْأَمَةِ﴾ حيث النار ﴿الْمُؤْصَدَةُ﴾.

• قسماً بمكة

* افتتحت السورة بقوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾؛ فهل أرادت القسم، أم أرادت عدمه؟ وأي بلد هذا الذي أقسمت به؟

– لكي نعي مدى خطورة قضية ما، نقيسها بأخرى عبر القَسَم. وحينما يأتي القَسَم في كلام الله، يضاف الى ذلك بعدان آخران: أولا: يعكس عظمة ما يقسم به بذات النسبة التي يعكس أهمية ما يقسم عليه. ثانيا: يكشف عن علاقة خفية او ظاهرة بين الأمرين. وفي فاتحة سورة البلد نجد التلويح بالقَسَم بالبلد، وهو قوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، والقَسَم بالوالد والولد، وهو قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾؛ لبيان المشاق التي يواجهها الانسان؛ ذلك ان أعظم ما يكابده البشر يتصل بالارض والأولاد.

والقَسَم – كما أسلفنا – يهدف إلقاء ظلال من العظمة على الموضوع، وسوف يحقق هذا الهدف نفيه او اثباته، وقد يكون نفي القسم يوحي بأهمية ما يحلف به مما يبالغ في العظمة؛ ولذلك قال المفسرون: ان «لا» هنا زائدة[2]، وبعضهم قال: انها تشبه كلمة «كلا»؛ تنفي أفكار الجاهليين. والبلد – حسب اقوال المفسرين –: مكة؛ وشرف مكة واضح

• شرف المكان و شرف المكين

* ما علاقة قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، بالقَسَم الذي جاء قبله والقَسَم الذي جاء بعده؟

– ليست مكة المكرمة بأشرف من رسول الله، صلى الله عليه وآله؛ بل شرف كل ارض بمن يسكنها من عباد الله الصالحين؛ ولذلك جاء في الحديث: «المؤمن أعظم حرمة من الكعبة». ويفسر ذلك حديث آخر: ان رسول الله، صلى الله عليه وآله، نظر الى الكعبة فقال: «مرحبا بالبيت ما أعظمك! وأعظم حرمتك على الله! والله للمؤمن أعظم حرمة منك؛ لان الله حرم منك واحدة، ومن المؤمن ثلاث: ماله، ودمه، وان يظن به ظن السوء»[3]

• القَسَم يعكس عظمة المُقسم به وما يُقسم عليه

أَوَليست الكعبة أول بيت وضع للناس؟ فالهدف – اذن– هو الانسان الذي سخرت له الارض وما فيها، واي انسان أشرف من محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وآله؟

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾، أي: أنت تسكن هذا البلد وتحل فيه. و قال بعضهم: معنى الآية: لا أقسم بالبلد الذي يستحل النبي، صلى الله عليه وآله، فيه. و قد روي ذلك مأثورا عن الامام الصادق، عليه السلام، حيث قال: «وكان أهل الجاهلية يعظمون الحرم، ولا يقسمون به، و[لا] يستحل ون حرمة الله فيه، ولا يعرضون لمن كان فيه، ولا يُخرجون منه دابة؛ فقال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، قال: يعظمون البلد ان يحلفوا به، ويستحلون فيه حرمة رسول الله».[٤] وعلى هذا؛ يكون شرف المكان بتوفر حالة من الحرية والامن لمن يسكنه.

• كل إنسان مكابد

* في قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾؛ من هو الوالد ومن هو الولد اللذان أقسم بهما؟

– يقسم القرآن بوالد وما ولد؛ فيقول: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾.

ويبدو ان كل والد يكابد حتى ينمو ولده ويشب، كما يكابد كل ولد حتى يكتمل ويصبح والدا، والقَسَم – على هذا – مطلق يشمل كل انسان.

وقال بعضهم: بل المراد آدم، عليه السلام، وذريته؛ أو ابراهيم، عليه السلام، ونجله اسماعيل، عليه السلام؛ أو كل ذريته الصالحين.

• أصل وجود الإنسان

* كيف ولماذا جاء بمثل تعبير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾؟

– ايهما أيسر عليك: إذا حملت ما يزن خمسة كيل وغرامات وأنت تزعم انه عشرة، او كنت تزعم انه ثلاثة؟! كذلك حينما تواجه الحياة وانت ترى انها كما التسلق على جبل أشم؛ فانك تتغلب بسهولة، بعكس ما لو زعمت انها مجرد رحلة سياحية.

والقرآن الكريم يريدنا ان نعرف حقيقة الحياة، ونسمو الى مستواها؛ لأنه أفضل لدينا ودنيانا من ان نتهرب منها بحثا عن الراحة.

والقرآن الكريم يريدك قوي الظهر حتى لا يثقل عليك أي حمل، ولا يريدك تبحث دائما عن الحمل الخفيف وقد لا تجده.

أَوَلم تقرأ قول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾، (سورة الإنشقاق: ٦).[٥]

بلى؛ وكل حياة الانسان كدح؛ إلا انه قد يغفل عنه؛ فيهرب الى ما هو أشد كدحا، او يستسهله ويتغلب على صعابه حتى لا يعود يعترف بأية صعوبة. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾؛ فأنى لك الفرار – أيها الإنسان – من أمر خُلقت فيه وهو داخل كيانك؛ بل هو أصل وجودك؛ شئت أم أبيت؟! والكَبَدُ: الشدة والنَصَب.

• حتمية المعاناة

* ولكن؛ لمَ خلق الله الإنسان هكذا في كَبَدٍ؟

– الوجود ذاته سلسلة انتصارات ضد العدم. أَوَليس الوجود نورا يجعل الشيء واقعا! تصور ان النور نرات متلاحقة متصلة؛ فاذا توقَفَت؟! فليس ثمة سوى ظلام.

والحياة بدورها سلسلة صراعات ضد الموت، انها – هي الآخرى – نور متجدد، وهي نتيجة ملايين من العوامل المتزامنة؛ لو فُقدَ بعضها، انعدمت.

كما ان حياة كل واحد منا صراع مع الطبيعة. أَوَتعرف كم مليار جرثومة هجمت عليك خلال رحلة حياتك بهدف القضاء عليك؟

وكم مرة تعرضت او تتعرض لخطر الموت فنجوت منها بإذن الله؟

وحتى على مستوى الظاهر؛ تجد الانسان في كَبَد، يصارع من أجل البقاء في ظلمات الرحم.

ويواجه أكبر التحديات عند الولادة، حتى اعتبروا ساعتها كساعتي الموت والنشور.

أشد مما يمر به البشر، وفي الطفولة المبكرة يعاني من الجوع والعطش والألم ويتحدى الأخطار.

ألا تشكل نسبة الوفيات عند الاطفال الأعلى في البلاد النامية ونسبة عالية في غيرها؟!

اما معاناة الكبار فإنها لا تنتهي؛ لان الانسان خُلق شاعرا طموحا، والشعور يفرز الألم، والطموح سبيل المعاناة، وهذا هو الذي يميزه عن سائر الاحياء، ومن هنا روي عن الامام الحسن، عليه السلام، انه قال:

«لا أعلم خليقة يكابد من الأمر ما يكابد الانسان؛ يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة».[٦]

• شرف كل أرض بمن يسكنها من عباد الله الصالحين

• كلنا بشر

* لماذا جاء بمثل الخطاب الوارد في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾؟

– في هذه المكابدة يستوي المؤمن والكافر، والغني والفقير، والكبير والصغير، وكل من سمي انساناً.

قد لا تحس أنت بمعاناة رفيقك؛ لأنك لست في قلبه؛ فتزعم ان غيرك أفضل منك.

ولكن أَوَليسوا هم ايضا بشرا أمثالك؟ بلى؛ إذن تعالوا نرضى بواقعنا، ونتحمل المسؤولية، ولا يقول الواحد: الان انا صغير، لو كبرت لارتحت مما اعانيه؛ لان الكبار أفضل.

او يقول: انا الآن اعزب؛ لو تزوجت سأرتاح. او ان سبب متاعبي فقري؛ فلو أغناني الله بلغت الراحة.

او ان سبب مشاكلي ان اولادي صغار؛ فلو كبروا تخلصت من همومهم؛ ولكنه ما ان ينتقل من حال الى حال، او من مرحلة لأخرى حتى تهجم عليه مشاكل جديدة؛ كل مشكلة أكبر من أختها.

لا تعش – إذن – في الأمنيات الحلوة، وفي أحلام اليقظة. لا تقل: لا يعاقبني الله، ولماذا؟ هل أنت إلا بشر؟!

وقالوا في معنى قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾، أي: أيظن ابن آدم ان لن يعاقبه الله عز وجل؟ انه ينظر الى ما أوتي من نعم الله؛ فيصيبه الغرور؛ ولا يفكر ان ما لا يملكه أكثر مما يملكه؛ يقول: لا أحد يقدر علي، وهو يعيش في وسط المشاكل وكَبَد التحديات.

❖ (١) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٥٧٨.

❖ (٢) أي: زائدة لتأكيد القسم؛ لا أنها كلمة زائدة في القرآن.

❖ (٣) موسوعة بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٧١.

❖ (٤) تفسير البصائر، ج ٥٥، ص ٥٣٣؛ نقلا عن الكافي.

❖ (٥) سورة الانشقاق، الآية ٦.

❖ (٦) تفسير البصائر، ج ٥٥، ص ٥٣٣.

آية وبصيرة

الزبانية

الزبانية هم «الشرطة» من الملائكة؛ واحدهم «زبني» من «الزبن» وهو الدفع؛ كأنهم يدفعون أهل النار اليها لتعذيبهم.

وقد نطق به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، (سورة العلق: ١٨)؛ والتقدير: سندع الزبانية لتعذيب الكفار؛ فنرى اينا أقوى وأقدر.

وغلاظ الملائكة الشداد هم الموكلون بالنار، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾، (سورة التحريم: ٦).

ودعوة الله للملائكة – الزبانية بتعذيب الكفر– دعوة يقينية الطاعة؛ لان الملائكة ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار بحق محمد وآله الاطهار، صلوات الله عليهم اجمعين.

«التتمة العدد القادم»

سبل قرآنية بين الانسان وربه

• زكي الناصر

أقرب الوسائل لمعرفة ان الوجود مخلوق، انما هو التصرف فيه، وإعطاؤه مرة لشيء ثم سحبه منه، فهو اذاً حقيقة يديرها مالكها الله القدير، والموجودات ليست بإله هي الاخرى، بل النجم والشجر يسجدان لله، والشمس والقمر يجريان بتدبير الله والارض خاشعة بأمره، وأبسط الادلة الى ذلك أن معالم الضعف بارزة في الاشياء، ولا ولن تكون هي الله، القدير – سبحانه –.

ان المبدأ الفلسفي الذي يقسم الوجود الى ممكن وواجب، ويتصور أن القسم الاول هو الخليقة، والقسم الثاني هو الخالق، مرفوض في القرآن، إذ ان الله ليس بوجود ولا الخليقة بوجود، انما الوجود نور مملوك لله وموهوب للخليقة، فكيف يمكن ان يشترك الخلق مع الله في قائمة واحدة نسميها الوجود.

بينما هي ثلاث قوائم: الله، الوجود، الخلق؟!

إن الحد الفاصل بين الله وبين الخلق، التباين المطلق بينهما؛ فكلما يجوز في الخلق يستحيل في الخالق وهكذا العكس.

وبهذا التباين نكشف أننا لا نقدر على تحديد الله ولا على اكتشاف صفاته، لأننا نعيش في مناخ المخلوقين ولا نعهد صفة الا بقدر ما هي ظاهرة في مخلوق ما، فصفة القدرة مثلاً نعرفها في الإنسان وفي التيار وفي العاصفة والكهرباء والذرة، صحيح أنها صفة قدرة إلا إنها مثبتة حسب معرفتنا في المخلوق، فلا يمكننا بطبيعة التباين بين الخلق والخالق قياسها على الله، وهكذا صفة العلم والملك وغيرهما.

ولكننا مع ذلك نستطيع أن نعرف ثبوت ما هو أسمى من صفات القدرة والعلم والملك المتوافرة في المخلوقات بثبوت ماهو أسمى منها وأكبر في الخالق الذي غرز في خلقه هذه الصفات المثلى وقد نسمي ذلك الامر الاسمى والأكبر من صفات المخلوقين، بـ «القدرة اللامحدودة» و «العلم التام» و«الملك الدائم»، إلا أنها لا تعني بهذه التسمية ايجاد علاقة بين قدرة الخلق وقدرة الخالق حتى تكونا سواء أو بين علم الخلق وعلم الخالق أو مشيئة الخلق ومشيئة الخالق وما أشبه، إذا لا علاقة بينهما إلا علاقة المقابلة الشديدة الانعكاس، بل انما نريد بهذه التسمية ايجاد علاقة بين لفظ ولفظ، حتى نعرف اشارة ما الى ذلك الأمر الأسمى الثابت للخالق.

من هنا كان اثبات أية صفة لله لا يعدو أن يكون اشارة – في أطار الفهم الذي نملكه – الى صفاته وأسمائه دون أن يكون تحديداً لله أو جعله في اطار المخلوقين وسحب صفاتهم عليه سبحانه.

• التسبيح يجعلنا أمام الله!

وأفضل صفة نطلقها على الله؛ هي صفة محورية تدور بين النفي والاثبات؛ النفي لقطع أية صلة تشابه بينه وبين خلقه، والإثبات للايمان بأنه أسمى من خلقه وأكبر؛ فهو القادر غير مقدور، والمالك غير مملوك، والعليم ولا معلوم!، ولترسيخ هاتين الحقيقتين؛ حقيقة ثبوت الله وصفاته المثلى من جهة، ونفي الصفات المعروفة في المخلوقين عنه، كان لابد من التقديس والتسبيح والتنزيه بكلمة «سبحان الله»، التي كثرت في القرآن وأضحت ركيزة الاذكار في الصلاة.

إن التسبيح يجعلنا فجأة أمام الله، فهو ينفي عن أذهاننا المخلوقين فيظهر الخالق، ولأنه من جهة ثانية يحل عقدة مستعصية من نفس البشر، وهي العادة على تحديد الاشياء، فاذا تقف أمام الله وتعجز عن التحديد، تتورط في الشبهات العقيمة بمحاولة مطابقة الله لمقاييس الخلق، فتضل ضلالاً بعيداً، وهنا تأتي كلمة (سبحان الله) لتنقذ البشر مرة واحدة من ورطته الكبيرة، وتقول له: «إنك أمام خالق المخلوقات حيث تعجز الالفاظ وتنهار الحدود وتنحسر المعارف البشرية الساذجة».

من هنا؛ لا نجد صفة عجز او ذل او صغار في المخلوق الا وتهدينا الفطرة الى تعالي الله عنها علواً كبيراً، ولا نرى فعلاً محدوداً منظماً بتدبير حكيم الا ونهتدي به الى الله، وكلما وجدنا الفعل من الدقة والحكمة والفائدة اهتدينا الى نوع من صفات الله وأسمائه الحسنى، فلو وجدنا مثلا وردة بديعة المنظر زاكية العرف، قلنا: سبحان الله اللطيف، أو ليس يتصف باللطف ودقة الصنع، اما لو لاحظنا الاهداف العديدة التي صنعت من اجلها الوردة من تنظيف الجو وإشاعة العبق لاهتدينا الى حكمة بارئها، اما إذا تصورنا الفوائد الصحية التي تصيب الانسان من الوردة عرفنا ان خالقها رحيم بعباده.

إن آيات القرآن تذكرنا مرة بعد اخرى بنوع الافعال التي تشهد على صفات الله تعالى، وقد تسبق التذكرة بالفعل، التذكرة بالصفة التي نهتدي بسببها اليها، وها نحن نستمع الى القرآن يذكرنا بصفات الله في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، (سورة الحج: ٦١)، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، (سورة لقمان: ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾، (سورة الحج: ٦١).

فالمنهج القرآني يكرس بيانه لمعرفة المخلوق والنظر اليه وملاحظة جوانب الحاجة فيه، على أن ذلك معبر الى الله تعالى، وهذا هو الطابع الذي يميز الحضارة القرآنية عن جاهليات الفلسفة الاغريقية التي تعمقت في ذات الله بعيدا عن النظر الى آياته فضلّت ضلالاً بعيداً. ويقول تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، (سورة الأنعام: ١٠٣)، هنا ينبغي ان نعرف ان النظر في الحياة يهدينا الى ان كل شيء مقدر تقديرا مناسبا ليحقق هدفا معلوما، مما يدل على ان المجموع ايضاً خلق لهدف معين، وهذا لايهدينا فقط الى حكمة الله البالغة، بل وايضا الى عقلانية الحياة، فليس اللانظام يشغل ولا مساحة بوصة واحدة من هذا الكون الفسيح، ولا نظام الا لحكمة معينة.

• الحياة فرص للفلاح والنجاح

ومن حكمة الله التامة تنبثق نظرة القرآن الى هدفية حياة الانسان، فليست الحياة عبثاً ولهواً اراد بها الله سبحانه اللعب او اراد بها تنكيلاً، انما خلق الانسان وقدره، وبين له السبل ويسرها لكي يخضع للتقدير فيفلح، اما اذا اختار العكس فانه سيهوي الى مكانٍ سحيق، ففي الدنيا سيشتري ضنكاً في العيش وقارعة وراء قارعة، اما في الآخرة فسيجزي الله الذين آمنوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً. ان هدفية الحياة تهدينا الى ضرورة الحساب، فإذ لانجد في الدنيا حسابا دقيقاً وحاسما للانسان نتطلع الى الآخرة التي سيحاسب فيها الكافر حسابا عسيراً، ويلقى جزاءه موفوراً، فمعرفة اليوم الآخر نابعة من معرفة الله وبالذات من معرفة صفتي الحكمة والقدرة فيه، اذ الحكمة هي التي تهدينا الى ضرورة الآخرة والقدرة الى امكانها.

ومعالجة القرآن للقيامة آتية من هاتين الزاويتين؛ وكلما كملت فيه معرفة صفتي الحكمة والقدرة كلما زادت معرفته بالساعة ودقة حسابها.

ويمكن ان نجد تجسيداً لهذه الفكرة في الآيات المباركات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾، (سورة الذاريات: ٥٦)، وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾، (سورة المؤمنون: ١١٥).

فهناك غاية من الخلق هي العبادة والتسليم لسنن الكون وشرائع الحياة التي جعلها الله سبحانه، وليست الغاية اللعب الذي يختلف جذرياً عما نلاحظه في الكون من آثار الحكمة وآيات الهدف، ان مسيرة الحياة تدل على انها الحق، وان الباطل لا حول له فيه، فليس هناك ما يدعو الى تصور ان اللعب هو غاية الحق، لأن اللعب هو غاية الحياة، إذ اللعب نوع من الباطل الذي يدمغه الله ويدعه زاهقاً.

وذوو العقول يعرفون آيات الحياة وما بها من لطف التدبير وعمق التقدير في ليلها ونهارها، ذلك لانهم يعبرون من آيات الكون نحو تذكرالله، فلا قيام ولاقعود الا وفيه نوع جديد من الاثارة نحو الله سبحانه، فهم يتفكرون فيما وراء خلق السماوات والارض من غايات حكيمة، ويقولون ربنا ما خلقت هذا باطلاً فكل شيءٍ جعلته فيه حق، ويهدف شيئاً مقدراً. ومن صفتي الحكمة والقدرة في الله سبحانه، نعرف ضرورة وامكانية الرسالة السماوية ايضاً، فلأن الله حكيم لايخلق الناس ليعذبوا، ولا يعذبهم حتى يبين لهم ما يتقون، ولانه سبحانه قادر على ان يبعث اليهم رسلاً من انفسهم يهدونهم الى رضوان ربهم، نعرف انه بعث فعلاً انبياءه الذين ختموا بمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن؛ بموت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبقى الناس محتاجين الى هداة ميامين هم الأئمة الطاهرون عليهم السلام.

• ان هدفية الحياة تهدينا الى ضرورة الحساب في الآخرة

• من صفتي الحكمة والقدرة في الله سبحانه، نعرف ضرورة وامكانية الرسالة السماوية

ALHODAMAG.COM

وجاء رجلٌ... يسعى!

• السيد سجّاد المدرسي

• قام حبيب النجار بتحريك ضمائر قومه ببيان ضعف وخور الأنداد من دون الله سبحانه، وعجزهم عن دفع الضر أو جلب المنفعة لمن عبدهم وأشرك بهم

هل أنا – الإنسان البسيط – مطالب بالدفاع عن الحقّ وأهله، ودعوة الناس إلى إتباعهم؟ أم المسؤولية تقع على عاتق الحكام والعلماء وأصحاب الفكر والقلم والمال؟

لا يفتأ البعض يتهربون من مسؤوليتهم في نصرة الحق و مواجهة الباطل بحجة كونهم من الطبقة العادية للمجتمع، ولا يملكون المال او الجاه او السلطة.

بلى؛ إن أصحاب السلطة والمال والعلم وغيرها، مطالبون في الدرجة الأولى بتحمل المسؤولية، ولكن ذلك لا يجعل غيرهم مبرأ عن تحمل واجباته تجاه الحق وتجاه الناس، أوَلم يقل رسول الله، صلى الله عليه وآله: « كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته»؟

وكمٍ شهد التاريخ اشخاصاً استصغرهم الناس لبساطة مظهرهم، ولكنهم قاموا بأعمال جبّارة غيروا بها حياة أمم بأكملها، كما الثورات التي قام بهاً الفقراء والمستضعفون، فقلبوا العروش على الطغاة والجبابرة ولم يكونوا يملكون سوى الحق وكفى بالحق قوةً ووسيلةً وغاية.

والقرآن الكريم يحكي لنا سيرة شخصٍ كان يعيش في أقاصي المدينة ولكنه قام بواجبه تجاه أنبياء الله الذين كُذبوا من قبل قومهم، فدافع عنهم ودعى قومه لإتباع الرسل وحاججهم انتصاراً للحق، ولم يدفعه إلى ذلك سوى رغبته بنجاة قومه من العذاب وفوزهم بنعيم الله سبحانه وتعالى.

من هو ذلك الرجل ؟ وما هي قصته ؟

يبدأ القرآن القصة، في سورة يس، بحكاية بعْثِ الله سبحانه للرسل إلى مدينة «أنطاكية»، قال تعالى: ﴿وَ اضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ* إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَينْ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُواْ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾.

و أوجز القرآن الكريم، ما جرى بينهم وبين قومهم، حيث كذبهم الجاهليون من قومهم ورفضوا الخضوع لهم و تطيروا بهم الشؤم والسوء، الذي كان في الحقيقة بسبب تكذيبهم للحق.

وبطبيعة حال الأحداث الهامة، فإن حدث إدعاء أشخاصٍ بأنهم مرسلون من قبل الله تعالى، لا يمكن أن يبقى في دائرة ضيقة، بل ينتشر خبره في كل المدينة، ويبلغ أحياناً المدن المجاورة، لذا وصل الخبر إلى مسامع شخصٍ لا يسميه القرآن الكريم بإسمه، بل يذكره بصفة الرجولة، قال تعالى:

﴿وَ جَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ﴾.

إنه حبيب النجّار، الذي كان رجلاً بما تحمله كلمة الرجولة من صفات كالهمة العالية والحزم الشديد والقول الثابت، وكان فرداً صدّق المرسلين ودافع عنهم، ففي الحديث النبوي الشريف : « الصِّدِّيقُونَ ثَلَاثَةٌ حِزْقِيلُ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ وَ حَبِيبٌ النَّجَّارُ مُؤْمِنُ آلِ يس وَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ هُوَ أَفْضَلُهُمْ». [١]

حمل حبيب على عاتقه مسؤولية عظمى وهي الدعوة إلى الحق، غير آبهٍ ببعد المسافة ولا مهتم بقلة الناصر ولا خائف من كثرة الأعداء، وكما قال الإمام الصادق، عليه السلام عن هذا الصدّيق : «وَ اللهِ لَقَدْ كَانَ حَبِيبَ النَّجَّارِ وَحْدَهُ»[٢] فجَاء من أقاصي المدينة والتي هي محل سكنى الفقراء عادةً، والذي يدل على أنه لم يكن من أعيان المدينة ولا من أثريائها.

لم يكن مجيء حبيب النجار إعتيادياً، بل جاء يسعى (وهو المشي السريع) – كما حكى القرآن الكريم – والذي يعني أنه كان مهتماً للأمر، وباذلاً الجهد في الوصول إلى حيث ينبغي، و «ربما سعى الرجل سعيا لاهتمامه البالغ بالإنذار، و حرصه الشديد على سلامة قومه، و هكذا يحرص أصحاب النفوس الطيبة على أمن الناس، و يتفانون في إبلاغ رسالات اللّه لإنقاذهم من عذابه المحتوم».[٣]

• محاججات في الصميم

بعد سعي جاد وحركةٍ دؤوبة وصل حبيب إلى قومه ودعاهم إلى اتباع المرسلين الذين قاموا بتكذيبهم من قبل، وكانت دعوته تلك مصحوبة ببراهين تظهر صدق المرسلين، فما هي تلك البراهين؟

أولاً: الرسل لا يبحثون عن أجرٍ مادي من قومهم بخلاف أصحاب المصالح، فالمصلحون؛ في أي ميدان كانوا، لا يتحركون إلا ضمن مصلحة معينة، فاذا كان هناك ثمة احتمال للخطر أو الضرر، لن يقدموا على شيء، في حين أن الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى يخوضون غمار المتاعب والمصاعب ويقدمون أغلى ما يملكون في سبيل رسالتهم وبعد كل ذلك لا يطلبون من الناس أجراً مادياً، وبعبارة أخرى لا ينافسون الناس في دنياهم أبدا، ويصرّحون دوماً أن أجرهم على الله.

فالرسل في أنطاكية لم يكونوا ليطلبوا من أهلها مالاً او ثروة، وهذا ما عرفه اهل المدينة، حيث استدلّ الصدّيق حبيب به على كون المرسلين، هم من قبل الله سبحانه وتعالى: ﴿اتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَ هُم مُّهْتَدُونَ﴾.

ثانياً: تتوافق رسالات السماء مع فطرة الإنسان، فكل امرئ يعرف في قرارة نفسه صدق الشرائع السماوية؛ وإن خالفها في ظاهره، ذلك لأن أحكام الدين وشرائعه وتعاليمه تتوافق مع الفطرة البشرية، اوليس الله سبحانه هو خالق الإنسان وفاطره على الإيمان؟

وهكذا فإنّ محتوى دعوة المرسلين شاهد صدق لهم، فهم يدعوننا الى اللّه الذي أخذ علينا ميثاقا في عالم الذر بالإيمان به؛ فاللّه الذي أودع قلوب البشر فطرة الإيمان به، اللّه الذي تابع نعمه علينا، فتأمرنا عقولنا بضرورة شكره.

ثالثاً: قام حبيب النجار بتحريك ضمائر قومه ببيان ضعف وخور الأنداد من دون الله سبحانه، وعجزهم عن دفع الضر أو جلب المنفعة لمن عبدهم وأشرك بهم، قال الله تعالى حاكياً قول حبيب: ﴿ءَ أَتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَانُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَ لَا يُنقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ*﴾.

• المواجهة والعاقبة

كما هو حال أغلب الناس تجاه دعوة الحق، رفض أهل القرية (انطاكية) قول حبيب كما رفض قول الرسل من قبل، لا لخللٍ في دعوة الرسل، ولا استناداً منهم على أدلة وبراهين تقابل أدلة الأنبياء وتابعهم الصديق، بل إتباعاً منهم للشهوات وتكبّراً منهم على الحق واغتراراً منهم بما آتاهم الله سبحانه من النعم، فأبدوا الرفض القاطع لقول الصديق، وتعدوا ذلك إلى تهديده بالسجن والرجم والعذاب – كما فعلوا من قبل مع الرسل بحبسهم–.

في هذه الحالة، قام حبيب النجار بإعلان موقفه النهائي وبشكلٍ صريح، معلناً عدم خوفه من تهديدهم وقهرهم، ومصرّاً على إيمانه بالله سبحانه: ﴿إِنِّي ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾.

وبإعلانه لهذا الموقف ثارت ثائرة القوم، وراحوا ينفذون تهديهم بحقه، فوطئوه بأرجلهم حتى مات، وقيل أنهم قاموا برجمه، وعلى كلا القولين فإنه قتل شهيداً في سبيل كلمة الحق، بيد أن القرآن الكريم لم يبين حادثة شهادته، بل انتقل السياق من إعلانه الإيمان بالله، إلى ساعة دخوله الجنة، حيث قال الله سبحانه: ﴿إِنِّي ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ* قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ*﴾.

والسبب في ذلك – كما يبدو– هو بيان كون العاقبة النهائية هي الأساس، فالدنيا تنتهي بشكلٍ أو بآخر، والمهم الفوز بالجنة، فكل مصاعب الدنيا تهون وتنسى لحظة دخول المؤمن إلى الجنة، وهكذا كان حال الصديق حبيب النجار حين قيل له ادخل الجنة، فراح يتمنى لقومه أن يكونوا معه بالرغم من قتلهم له، حبّاً بهم وشفقةً عليهم، وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله، صلى الله عليه وآله، أنه قال عن مؤمن يس: «إنّه نصح قومه حياً وميتا».[٤]

• المصلحون؛ في أي ميدان كانوا، لا يتحركون إلا ضمن مصلحة معينة، فاذا كان هناك ثمة احتمال للخطر أو الضرر، لن يقدموا على شيء، في حين أن الدعاة إلى الله، يخوضون غمار المتاعب والمصاعب ويقدمون أغلى ما يملكون في سبيل رسالتهم

١- تفسير فرات الكوفي- ص٣٥٤.

٢- تحف العقول- ص٤٣.

٣- من هدى القرآن- ج١١، ص١٤.

٤- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب - ج١١، ص٧٣.

المال الحرام و دوره في صناعة الأزمات

• حسين محمد علي

عندما يجري الحديث عن أخطاء في المجتمع ذات صبغة معنوية تترك آثاراً مادية ملموسة، ينبري السؤال عن كيفية حصول ذلك؟

فبالإمكان تصور أن أخطاء في النظام الاقتصادي مثل الاحتكار والتلاعب بقانون العرض والطلب، يؤدي الى ارتفاع الاسعار. أو الاعتماد الكبير على قطاع التجارة والمصارف وأسواق البورصة، على حساب الانتاج الوطني، وعدم تشجيع الورش الصناعية الصغيرة والمتوسطة، يخلق البطالة والفقر. وهكذا الحال في أخطاء تحصل في مجال الصحة والتعليم وغيرها.

ولكن؛ من الصعب على البعض، تصور أن يكون خطأ اجتماعياً مثل العلاقات الجنسية المحرمة (الزنا)، سبباً في «موت الفجأة»، حسب الحديث النبوي الشريف، فهذا السلوك اللاأخلاقي والمنحرف الذي يشترك فيه الرجل والمرأة، يمثل عملاً فردياً، بيد أنه يتسبب في انتشار حالة بعيدة عنه، ربما يكون عنوانها صحياً، مثل الموت المفاجئ الذي نلاحظه كثيراً باسماء: «الذبحة الصدرية»، أو «الجلطة الدماغية».

كذلك الحال فيما يتعلق بسلوك البعض في المجتمع، إذ ان طريق الكسب المادي غير المشروع، سواءً من خلال الدائرة الحكومية او منصبه، او من خلال اعماله التجارية، وحتى من خلال متجره الصغير، من شأنه ان يكون أحد عوامل صناعة الأزمات في المجتمع، والتي ربما تأخذ مديات اقتصادية وأمنية وحتى سياسية.

وقبل هذا وذاك، لابد ان نتذكر دائماً الحقيقة التي طالما حاول الغرب تغييبها، وهي أن الانسان ليس بوسعه يوماً العيش وحده، ولا التفكير وحده، القفزات الطويلة في علوم شتى، واتساع نطاق الاعمال والمهن، وازدياد حاجات الانسان المادية منها والمعنوية، هي نفسها أجبرت مفكري الغرب على إعادة النظر فيما قيل بان «الانسان وحده المسؤول عن أفعاله»، وعليه؛ فان عملية الكسب غير المشروع، لا يمكن تصورها محدودة في محيط صاحبها، حتى وإن اتسع نطاق هذه الظاهرة ليمثل شريحة واسعة في المجتمع، فلا يعني هذا انعدام آثارها السلبية، أو القول باستساغتها، لان ببساطة، يعود الأمر الى الفطرة الانسانية السليمة التي تجد في المال الحرام، انحرافاً عن الآداب والحقوق العامة.

• لماذا الحرام وليس الحلال؟

انه سؤال بسيط يستبطن إجابات عديدة، فهنالك عوامل تدفع البعض الى اتباع هذا السلوك، علماً أن النظام الاسلامي قدم برنامجاً اقتصادياً متكاملاً يمكّن الجميع من الكسب الحلال والمشروع، بما يخدم صاحبه والآخرين، بل ويسهم في تقدم وتطور البلاد والعباد، ولن يريد التفصيل مراجعة المؤلفات في هذا الجانب لكبار المفكرين والباحثين في هذا المجال، بيد أن عوامل عدّة تدفع البعض لأن ينزلقوا نحو هذا السلوك، نسلط الضوء على عاملين فقط:

الاول: عصر السرعة

حيث أن المعروف عن الكسب المشروع، انه يرتبط بالنظام الاجتماعي والاقتصادي العام، وهو مرتبط بدوره بمنظومة قيم وقوانين وشرائع؛ منها سماوية، ومنها وضعية، والالتزام بكل هذه الضوابط من شأنه تقييد حركة الكسب المادي، لاسيما أن المادة، أضحت في أعين الكثيرين، عصب الحياة. فالموظف – مثلاً– في دائرته او التاجر في السوق وهكذا... يريد المزيد من التملّك في العقارات والامتيازات، والارصدة المالية في البنوك، وايضاً، اصحاب المهن الحرّة، بل والباعة المتجولين، فان حبّ المال، نزعة انسانية لا تُحَدّ، لذا نلاحظ السعي المحموم للحصول على الارباح بأسرع وقت ممكن، وهذا ربما يتمثل في «الرشوة» تارةً، أو في «الغش والتدليس» تارةً أخرى. وربما أعمال مبتكرة عديدة من شأنها تجاوز كل حدود القيم والالتزامات الاخلاقية والانسانية.

الثاني: مرجعية الذات

وهي عبارة مستعارة، كناية عن الحب المفرط للذات الانسانية، وهي ظاهرة طالما سلّط الضوء عليه العلماء والمفكرون، على أنها تشكل إحدى مناشئ الانحراف في السلوك والثقافة والاخلاق، تنتج صفات ذميمة مثل الأنانية والنفاق والكذب والظلم، كل ذلك يبدأ من محيط ضيق في المجتمع، مثل الأسرة، ثم يتوسع الى المجتمع، ثم الامة بأكملها. هذا الحب المفرط للذات، يكون حاضراً وبقوة في عملية الكسب المادي غير المشروع، لاسيما اذا كان صاحبه، في موقع معرض للاهتزاز بفعل التنافس غير الشريف بين من هو أدنى، ومن هو أعلى منه، على تحقيق الاكثر من الاموال والسيارات الحديثة والعقارات المميزة وحتى الامتيازات.

فاذا كان التاجر في السوق والموظف في دوائر الدولة وحتى في المراكز الاكاديمية والتعليمية، ممن يحسبون على الطبقة المتوسطة، موغلين في حب الأنا وسباقين الى الكسب السريع غير المشروع، فهل نتوقع من اصحاب الطبقة الاقل وعياً وثقافة والتي تعاني الفقر والحرمان، أن ترعى القيم وتقف دون الحدود والضوابط؟

هذا المآل من شأنه أن يكون احد عوامل الفوضى الاجتماعية المنتجة للأزمات المتواصلة، فالجميع لا يفكر بالجميع، إنما بنفسه كفرد وحسب، وهذا تحديداً يفسر انتشار الجرائم في بعض المجتمعات واستسهال انتهاك القانون وحتى الاعراف والقيم الاجتماعية، لان الذي يسهل عليه أكل الحرام وانتهاك حقوق الآخرين، لا يخشى من ارتكاب أي جريمة او مخالفة قانونية كانت او اجتماعية وحتى سياسية، لأن ببساطة؛ الآخرون في نظره لا شيء.

• من المستفيد؟

نقصد بهذا السؤال، أن الباحث عن الربح السريع وغير المشروع، لن يكون المستفيد دائماً، فهو ربما يحقق مكسباً في فترة معينة من الزمن، بيد أن المستفيد الحقيقي هو من بيده مقاليد السلطة، ومن يتحكم بالاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومن خلالها يؤسس لمشاريعه ويمرر سياساته وبرامجه، ويطبق القاعدة الديكتاتورية «نفّذ ولا تناقش»، مستفيداً من حالة التمزق الحاصلة في المجتمع، وإلا اذا كان افراد المجتمع متقاربين قلباً وقالباً، وكل ينظر الى صاحبه على أنه المرآة، وأنه يشترك معه الحياة والمصير، بالقطع لن يتمكن أي حاكم مهما أوتي من قوة، من أن يجبر افراد هكذا مجتمع على الانصياع لأوامره وتنفيذ سياساته الفاشلة. بيد أنه بنفس السرعة التي يصل فيها البعض الى مبتغاهم من الاموال والامتيازات المغرية، فانه (الحاكم) يُسرع في تنفيذ مخططاته وما جاء من أجله الى الحكم، مستفيداً من حالة التمزق والتفكك في المجتمع، ومثالنا الأبرز والأقرب «صدام» وما قام به خلال سني حكمه.

من هنا؛ يكون بإمكان الحاكم – أي حاكم– من صناعة الأزمات بواسطة المجتمع المفكك، وبالاستفادة من افراد نفعيين ومصلحيين، كلٌ يفكر بنفسه، لا بغيره، وهذا يسهّل المهمة، ويجعل هؤلاء أدوات طيعة بيد الجهاز الحاكم ليكونوا عوامل لأزمات عديدة، مثل غلاء الاسعار او البطالة وحتى انعدام الخدمات، ومنها الكهرباء، بل وحتى الازمات الامنية والسياسية، فوجود هكذا ازمات تجعل المواطن يدور في دوامة مفرغة بحثاً عن حلول لمعالجة الاسعار المرتفعة او فرص العمل او كيفية توفير الكهرباء وحتى الماء الصالح للشرب، وكيف يؤمن على بيته وسيارته وأهله، باقتناء السلاح، وشبكة عنكبوتية واسعة من الازمات الشائكة. وتكون النتيجة؛ وجود شريحة من المنتفعين قادرين على إدارة حياتهم وتوفير مستلزمات الرفاهية لعوائلهم، فيما تبقى الشريحة الاخرى (الضحية) تتخبط في حر الصيف اللاهب، والحرمان من السكن اللائق وفرصة العمل والعيش الكريم.

وأرى من اللازم الاشارة الى أزمة أخرى لا تقل خطورة مما مرّ ذكره، وهي الازمة العقائدية في المجتمع، حيث باتت الشكوك تحوم حول كل شخص ملتزم بالاحكام والقيم في محيط عمله، بانه متهمٌ – بشكل او بآخر– بالتستر على ما يخفيه من نشاطات وأعمال غير مشروعة...! والمفارقة هنا؛ ان الدين والاخلاق، اللذين تعرضا للهجران والتنكّر، من البعض، يتحول الى أزمة بين افراد المجتمع، مع حصول بعض حالات التستّر بالظواهر الدينية لتحقيق المكاسب المادية، وهذه ظاهرة ليست وليدة اليوم، بقدر ما هي حالة انسانية نرى نماذج منها طيلة العهود الاسلامية. فهنالك حكّام، وليس اشخاص عاديين، تستروا برداء «الخلافة»، وآخرون تستروا بالظواهر الدينية والمسمّيات والالقاب، وفعلوا من الآثام والانحرافات ما عجزت عنه الكتب التاريخية، مع كل ذلك، بقيّت القيم والمبادئ والفضائل والمكارم في حصن حصين، وهذا لم يكن إلا بفضل وجود النوع الآخر من الناس الباحثين عن «اللقمة الحلال» والكسب المشروع الذي يحافظ على حقوق الآخرين، كما يضمن العيش الكريم بعيداً عن بذور الفتن والازمات.

• أن الكسب المشروع يرتبط بالنظام الاجتماعي والاقتصادي العام، وهو مرتبط بدوره بمنظومة قيم وقوانين وشرائع

• إن الحب المفرط للذات، يلعب دوراً وبقوة في عملية الكسب المادي غير المشروع، لاسيما اذا كان صاحبه، في موقع معرض للاهتزاز

من ذا الذي يقرض الله؟

• مرتضى الحسيني

يتسابق الناس في العادة إلى إقراض الثري المليء منهم – وكلهم فقراء– فهم يعتقدون أن السداد مضمون. ولهم الاعتزاز بأن مَنْ أقرضوه هو الثري المليء! لكنهم يتباطؤون حينما يكون القرض إلى الغني الحميد!

يقول الإمام زين العابدين في دعاء ابي حمزة الثمالي: «الحمد لله الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني».

هنا مفارقة تدعو الى التساؤل؛ فحينما طلب الله سبحانه من المؤمن إقراضه لم يضمن سداد القرض فحسب، بل وعده بأن يعيده بأضعاف فقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، (سورة البقرة: ٢٤٥)، فبعد إعادة القرض مضاعفة، هنالك {أَجْرٌ كَرِيمٌ} ينتظر المُقرض.

• شروط نجاح الإنفاق

ولكن السؤال؛ هل كل مال ينفق في سبيل الله يستحق المضاعفة والأجر الكريم أم أن لذلك شروطا؟

لا يريد الله منّا أي مال، بل المال المنفق يجب أن تتوفر فيه شروط ليكون من القرض الحسن، ولعل مراجعة سريعة للآيات والروايات تهدينا إلى هذه الشروط، نذكر سبعة منها:

الشرط الأوّل: إنتخاب المال الحلال الطيب، يقول سبحانه: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ، وَمِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾، (سورة البقرة: ٢٦٧)، وقد ورد في تفسير هذه الآية عن الإمام الصادق، عليه السلام: «كَانَ النَّاسُ حِينَ أَسْلَمُوا عِنْدَهُمْ مَكَاسِبُ مِنَ الرِّبَا ومِنْ أَمْوَالٍ خَبِيثَةٍ فَكَانَ الرَّجُلُ يَتَعَمَّدُهَا مِنْ بَيْنِ مَالِهِ فَيَتَصَدَّقُ بِهَا فَنَهَاهُمُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ وإِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ»، وجاء عن النبي، صلى الله عليه وآله قال: «إنَّ اللهَ طَيِّبٌ وَلَا يَقْبَلَ إِلَّا الطَّيِّبَ».

ولعل التأكيد المتكرر في الآيات والروايات على هذا الشرط، لأن البعض يحاول تبرير مكاسبه المحرمة، والالتفاف على الشرع بمختلف الحيل، كإنفاق بعضها في بناء المساجد والمؤسسات الدينية، والمساهمة في المشاريع الخيرية، ولكن؛ ليعلم هؤلاء أن ذلك لا يخلعهم عن المسؤولية أمام الله، ولا يعود عليهم بالنفع، فإن الأموال التي أخذت في الرشا أو اقتطعت من أموال الناس في المشاريع الوهمية وعمولاتها إنما هي من السحت لا يطهرها بذل جزء منها في المشاريع الخيرية.

الشرط الثاني: أن يكون الإنفاق من الأموال التي هي موضع حاجة الشخص المنفق أو التي يحبها، حيث يقول سبحانه:] ﴿...وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ﴾، (سورة الحشر: ٩)، ويقول سبحانه: ﴿لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، (سورة آل عمران: ٩٢) فالإيثار يعطي للإنفاق قيمة إضافية.

الشرط الثالث: بأن يكون خالصاً لوجه الله، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، (سورة المائدة: ٢٧)، وهذه سيرة أوليائه، عليهم السلام: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً * إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾، (سورة الإنسان: ٨–١٠)، أما إذا أنفق الإنسان تزلفاً إلى الطاغوت، أو طمعاً في منصب أوقضاء حاجة عند الحاكم، أو رئاء الناس أولهثا وراء الشهرة وغير ذلك، فهذا ليس قرضا حسناً، إنما هو النقيض «سيئاً» يستوجب العقاب، لأنه قد يكون طريقا إلى الفساد والإفساد في المجتمع.

الشرط الرابع: أن يكون محاطا بالسّرية والكتمان قال تعالى: ﴿...وَإِنْ تُخْفُوها وَتُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، (سورة البقرة: ٢٧١).

الشرط الخامس: أن لا يبطل هذا الإنفاق بمنّ أو أذى كما يقول تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى﴾، (سورة البقرة: ٢٦٤).

الشرط السادس: وهو من الشروط المهمة التي قد نغفل عنها بأن لا يشعر الإنسان أن ما يعطيه كثير بل عليه أن يعلم بأن ما يعطيه لا شيء لانه يعطي مما أعطاه الله، يقول تعالى: ﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾، (سورة المدثر: ٦).

الشرط السابع: أن يصيب الإنفاق موارده.

• الإنفاق في مواضعه

سفانة بنت حاتم الطائي، بعدما أطلق سراحها رسول الله، صلى الله عليه وآله، لكرم أبيها وأعطاها ما أعطى رفعت يديها بالدعاء فقالت: «أصاب الله ببرك مواضعه»، وحقاً إنها دعوة مهمة حيث إن من المهم جداً في الإنفاق في سبيل الله والإقراض هو أن يقع في موارده المشروعة، ليس مطلوبا من الإنسان أن يفتش عن عقائد الناس ويحقق معهم، ولكن ينبغي له أن يعلم أين يضع ماله، وفي الخبر المشهور عن رسول الله، صلى الله عليه وآله: «لا تزل قَدَمُ عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسِ خِصَالٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ حبنا اهل البيت».

ويقول الإمام الصادق، عليه السلام: «لَوْ أَنَّ النَّاسَ أَخَذُوا مَا أَمَرَهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بِهِ فَأَنْفَقُوهُ فِيمَا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ مَا قَبِلَهُ مِنْهُمْ، ولَوْ أَخَذُوا مَا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ فَأَنْفَقُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مَا قَبِلَهُ مِنْهُمْ، حَتَّى يَأْخُذُوهُ مِنْ حَقٍّ ويُنْفِقُوهُ فِي حَقٍّ».

بالطبع الثواب يكون على النية، والإنسان مطالب أن يعمل بالظاهر، ولكنه إذا أخلص نيته وأصاب هدفه فهو أجزل ثوابا من الذي يُخلص ولا يُصيب، بالذات إذا كان ذلك بسبب الإهمال، فإن الإنفاق إذا أخطأ موارده قد يؤدي إلى حالات سلبية معاكسة اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا. ومن أهم الموارد التي ينبغي أن يكون الإنفاق في سبيل الله فيه هو الإمام المعصوم ومن يخلفه في قيادة المجتمع المسلم أو التجمع الرسالي الذي يجاهد من أجل إقامة حكم الله، وتحرير البلاد والعباد من ربقة الظلم والفساد والتبعية، قال الإمام الصادق، عليه السلام: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَسْأَلْ خَلْقَهُ مَا فِي أَيْدِيهِمْ قَرْضاً مِنْ حَاجَةٍ بِهِ إِلَى ذَلِكَ، ومَا كَانَ للهِ مِنْ حَقٍّ فَإِنَّمَا هُوَ لِوَلِيِّهِ».

وعن الإمام موسى بن جعفر، عليه السلام، في تفسير هذه الآية المباركة قال: «صِلَةُ الإِمَامِ فِي دَوْلَةِ الفَسَقَةِ».

وعن الإمام الصادق، عليه السلام قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ إِخْرَاجِ الدِّرْهَمِ إِلَى الْإِمَامِ وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَجْعَلُ لَهُ الدِّرْهَمَ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ» ثُمَّ قَالَ، عليه السلام: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، (سورة البقرة: ٢٤٥)، ثُمَّ قَالَ: هُوَ وَاللهِ فِي صِلَةِ الْإِمَامِ خَاصَّةً».

• «خديجة» رمز الإنفاق الحضاري

ينبغي أن تعي الأمة أنها كلما دعمت الحركات الرسالية والقيادات الصالحة تقدمت نحو النصر، وأسهمت في استقلال طلائعها المجاهدة، فهناك الكثير من المشاريع في طريق الجهاد والنصر تنتظر العون الذي يُصيِّرها واقعاً على الأرض، وزوجة الرسول الأكرم، صلى الله عليه وآله، خديجة بنت خويلد، عليها السلام، أسوة حسنة لنا في ذلك فقد وهبت مالها للإسلام ابتغاء مرضاة الله، وجهادا في سبيله.

وإذا كانت هذه المسؤولية تقع على الأمة فردا فردا، فإنها لا ريب تتركز عند الذين أنعم الله عليهم بالثروة، وهم مطالبون أمام الله والأمة والتاريخ أن يتحملوا مسؤوليتهم ويؤدوا واجبهم في الصراع الحاسم بين الباطل – ممثلا بالأنظمة الجاهلية – وبين الحق – ممثلا بالقيادات والحركات الرسالية الصادقة –، وليطمئن كل منفق أن انتصار الحق لن يكون في صالح الأمة فحسب، بل في صالحه هو شخصيًا أيضاً، وأن المال الذي ينفق منه لن ينقص، بل سيبارك الله له فيه. وهذا وعد الله تعالى حيث قال: ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾، (سورة البقرة: ٢٤٥)، ويبدو أن هذه المضاعفة في الدنيا ويضرب القرآن مثلا لهذه المضاعفة إذ يقول: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، (سورة البقرة: ٢٦١).

وقال الإمام علي، عليه السلام: «الصَّدَقَةُ تُنْمَى عِنْدَ الله تَعَالَى».

وعلى الإنسان أن يوقن بهذه الحقيقة فإن أيقن بهذه الحقيقة فإنه لا ريب سيكون من المنفقين، ففي الحديث عن النبي، صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ سَخَتْ نَفْسُهُ بِالنَّفَقَةِ».

وهل يقف الإمر عند هذا الحد كلا بل إن النِعَم تعم جوانب حياة الإنسان وتمتد إلى من حوله، وإلى الأجيال من بعده، قال الإمام الصادق، عليه السلام: «مَا أَحْسَنَ عَبْدٌ الصَّدَقَةَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَحْسَنَ اللهُ الخِلَافَةَ عَلَى وُلْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ».

وهكذا تستمر البركة حتى الحياة الآخرة فيقول تعالى: [وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ] في مقابل شكر الإنسان لربه، وتصرفه الحسن في نعمه يشكره الله. ونحن نعلم كم تكون العطية كثيرة إذا امتدت بها يد الكريم من الناس، ولكننا لا نستوعب سعتها ونوعيتها إذا كانت من عند رب العالمين الذي وسعت رحمته كل شيء!

نعم؛ غير المؤمن، يجادل في ذلك المرة بعد الأخرى وكما يصف لنا الرب هؤلاء: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾، (سورة يس: ٤٧)، وليس قولهم ذلك إلا تبريرا لتخلفهم عن الحق، وسعيهم التملص من المسؤولية، وعلى العكس تماماً ترى المؤمن يدرك غنى الله، وأنه إنما فرض الإنفاق ليبتلي عباده ويستأديهم ميثاقه بالطاعة له.

يقول أمير المؤمنين، عليه السلام: «قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ ولَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ، اسْتَنْصَرَكُمْ ولَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ، واسْتَقْرَضَكُمْ ولَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وهُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ، وإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ الله فِي دَارِهِ».

• قال الإمام علي، عليه السلام: «الصَّدَقَةُ تُنْمَى عِنْدَ الله تَعَالَى»

• جاء عن النبي، صلى الله عليه وآله قال: «إنَّ اللهَ طَيِّبٌ وَلَا يَقْبَلَ إِلَّا الطَّيِّبَ»

البهتان
من محاولة للتسقيط الى سلاح للقتل المعنوي

• شعور الإنسان بالنقص لا يكون علاجه من خلال اتهام الآخرين بأنواع التهم والرذائل، فليس مثل هذه التهم ما يشوه سمعة أولئك، ولن يرفع النقص عن هذا المرء

• ياسر عبد الأمير

إشاعة روح المحبة والمودة بين افراد المجتمع الإسلامي؛ من الأهداف العليا لمبادئ الإسلام، ولذا تناولت النصوص الإسلامية من آيات وأحاديث، المواضيع الأخلاقية وجعلتها في مقدمة أولوياتها، لأن الغاية؛ هي إشاعة وتكريس روح التسامح، وتأسيس المجتمع الفاضل.

بيد أن هذه الفضيلة والسمة الاخلاقية، تواجه تحدياً كبيراً على الصعيد النفسي (الفرد)، وعلى الصعيد الاجتماعي، وهذا التحدّي أشبه ما يكون بالفيروس – من بين فيروسات عديدة تضرب المنظومة الاخلاقية– ألا وهي «البهتان».

وقد عالجت النصوص الإسلامية هذا الموضوع بشكل دقيق ومكثف، فقد جاء التحذير صريحاً في العديد من الآيات القرآنية منها: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، (سورة الأحزاب: ٥٨)، وفي آية أخرى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾. (سورة النساء:١١٢)

• مرض نفسي هدّام

ما نستشفه من الآيتين الشريفتين أن الشخص الذي يتهم الناس بما ليس فيهم، هو مصاب بمرض نفسي، وهو الشعور بالوضاعة، وقد أصيب بهذا المرض لأسباب عديدة منها: فشله في تحقيق الافضل من الاعمال الصالحة في شتى الميادين، وسواءً لنفسه وأهله أو للآخرين، وايضاً عدم الصبر على الازمات والمنغّصات في حياته، هذا فضلاً عن انعدام الورع وتقوى الله، مما يدفعه على ارتكاب هذا الفعل الشائن، فيحاول عن طريق إلصاق التهم بالآخرين، التغطية على ما فيه من ثغرات وعوامل فشل.

فمن سوء حظ المرء أن يتورط في الخوض في أعراض الناس، وخاصة المؤمنين منهم، فليس لهؤلاء محام وناصر غير الله، فمن يتعرض لهمّ بظهر الغيب بلسانه أو بيده، فإنه سيجد الله ناصرهم عليه، وقبل أن يفضح أمرهم سيكون هو المفضوح، لأنه في واقع الأمر يعلن الحرب بذلك على الله.

وهنا تحديداً يكمن الخطأ في تصور البعض ممن يمارسون البهتان، فشعور الإنسان بالنقص لا يكون علاجه من خلال اتهام الآخرين بأنواع التهم والرذائل، فليس مثل هذه التهم ما يشوه سمعة أولئك، كما لن يحل مشكلة هذا الانسان، ولن يرفع النقص عنه، بينما المحصلة النهائية، يكون محلاً لغضب الله، ومحطاً للذنوب والخطايا.

والبهتان هو من أعظم الذنوب وأشدها سوءاً، وقد وعد الله – سبحانه وتعالى– مرتكبها بأشد العذاب والألم، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «البُهتان على البريء أثقل من الجبال الراسيات»[1].

وهذا وصف لحجم البهتان العظيم، فقد وصف بأنه أثقل من الجبال الراسيات، وذلك أن مرتكبه يتهم أحدهم تهمة ولا يعلم حتى أين وكيف ستضره، وربما استمر ضررها سنوات وسنوات.

يُحكى أن رجلاً كان يرغب بتزويج ابنه من ابنة جاره، وقد تقدم غيره لخطبتها، فسألوه عن حالها، فنعتها بأسوأ النعوت والأوصاف، واتهمها في عرضها حتى لا يتجرأ أحد على خطبتها، وتظل هي طوع إرادة ابنه حتى يتزوجها وقتما يشاء، ولّما بلغ الابن مبلغ الرجال، فاجأ الجميع بعزوفه عن الزواج بها.

فظلّت الفتاة عانساً حتى بلغت الشيخوخة، نتيجة لاتهام ذلك الرجل لها في عرضها وعزوف الخطاب عن التقدم إليها لما عرفوا عنها سوءاً.

وهنا يجب أن نسأل: كم سيتحمل هذا الرجل من الآثام باتهامه فتاةً بريئة في عرضها.

وسبب لها كل هذا الإزعاج النفسي والروحي؟ وما هو العقاب المناسب الذي يستحقه الرجل، لأنه حرم فتاةً غضةً من الزواج والتمتع بالحياة؟

وعليه؛ ليس هناك من مبالغة في وصف البهتان بالجبال الراسيات، لأنه كما يتبين، أثقل منها.

فمن يحكمونه بالإعدام فإنهم في الواقع يعدمون بدنه، بينما من يتعرض للاتهام زوراً وبُهتاناً، فانه يتعرض لقتل معنوي وربما مادي في آن واحد.

كما حصل مع تلك الفتاة المسكينة التي لم تتذوق حلاوة الحياة، بسبب قول بهتان لمصلحة شخصية.

وبعد هذا لن يغفر الله لهذا المرء ذنبه، لأن الفتاة هي صاحبة الحق، ولن تترك هذا الرجل حتى تلقي على كاهله بكل سيئاتها وتأخذ منه ما بقي من حسناته وتدخله حر الجحيم.

فليس لانسان من امل يوم القيامة في ان يغصب حق آخر ويقول: سيعفو عني، فهناك حيث نار جهنم والعذاب الشديد لايقول المرء غير (وانفساه).

• آثار اجتماعية واسعة

إن البهتان أحد الذنوب العظيمة التي لا يعرف الناس تبعاته، ويظنون أنه مجرد كلمة تقال على شخص أو تهمة يتهم بها، ولايعرفون أن التهمة الواحدة قد تؤدي إلى ضرر يستمر لسنوات وسنوات.

وكل تبعاته تقع عليهم، وانهم سيحاكمون على هذا الضرر في الدنيا والآخرة.

وحول العذاب الذي سيعذب به الإنسان يوم الحساب الأكبر نتيجة لهذا الذنب العظيم، يقول الرسول الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، «من بهت مؤمناً أو مؤمنةً أو قال فيه ما ليس فيه أقامه الله تعالى يوم القيامة على تلٍّ من نار حتى يخرج مما قال فيه»[2].

فهذا التصوير لوضع مرتكب هذه الجريمة وإن كان على سبيل التشبيه لتقريب الصورة.

فإن الغرض من ذلك بيان عظمة هذه الجريمة وتحذير الناس منها، لإن ثقلها في الميزان يُطيح بالكثير من الأعمال الحسنة.

من هنا فان على المرء ان لا يغتر بما عنده من مكانة اجتماعية وعلاقات ليطلق عنان لسانه بما يريد ويرغب وما يحقق مصالحه، وعليه أن يتذكر دائماً أن اللسان وضعه الله – سبحانه وتعالى– في سجن الفم حتى لا ينطلق من دون عنان، يهدر ويهذر، فمن جعله أمامه قاده إلى نار جهنم، ومن وضعه وراء عقله وجعله في خدمة فكره وعقيدته قاده إلى جنة عرضها السموات والأرض.

إن إشاعة مثل هذه الآثام في صفوف المجتمع الإسلامي، تؤدي إلى تفتيته وتقويض روابطه الحسنة لأنها تساعد على نشر عدم الثقة بالآخرين، والتشكيك في سمعتهم ومصداقيتهم، كما أنها ذات أثر على الأفراد الذين تقع عليهم التهم، فهؤلاء سيتعرضون إلى الضغوط النفسية والى العزلة الاجتماعية خاصة إذا أشيع ما اتهموا به على نطاق واسع في المجتمع، فهؤلاء سيرجحون عزلة الناس حتى لا يلاحظوا نظراتهم وهي تلاحقهم بالإزدراء.

لقد وصف الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، (سورة الأحزاب: ٥٨)، فقد وصف عزّ وجل، البهتان بالأذى، ولابد هنا أن نصل إلى المرتبة التي نستطيع أن نميز بها مقدار الأذى الذي يصيب الإنسان عندما تتوجه إليه التهم الباطلة، فهل نملك القدرة على تشخيص مقدار الأذى؟

لا أحد يستطيع أن يزعم بأنه يعرف بدقة مقدار ما تسببه الكلمات البذيئة من ضرر نفسي وحياتي على الناس، والضرر الذي يلحق بالروح، أشد وقعاً وتأثيراً من الأذى الذي يصيب الجسم، فأذى البدن يبرأ وأذى الروح قد يمتد ويطول مع العمر كله.

---

(١) بحار الانوار / ج٧ / ص١٩٣

(٢) بحار الانوار / ج٧٥ / ص١٩٤.

• إن إشاعة مثل هذه الآثام في صفوف المجتمع الإسلامي، تؤدي إلى تفتيته وتقويض روابطه الحسنة لأنها تساعد على نشر عدم الثقة بالآخرين

قراءة النص برؤية حضارية

المرجع المدرسي نموذجاً

● حيدر الرماحي

يحتاج النصّ الديني الإسلامي كغيره من النصوص إلى قراءة مناسبة تتوافق مع معطيات الحق والصدق، كضمان لعدم انحراف منهجية إبراز المعنى المطلوب لألفاظ النصوص من جهة، واستظهار معانٍ حضارية تتناسب مع الواقع المعاصر وما يؤلفه أبناء المجتمع من جهة أخرى.

وقد مرت النصوص الدينية الإسلامية بألوان مختلفة من القراءات تبعاً لاختلاف المنهج العلمي المتبع لدى العلماء تارةً، ولحاجات نفعية – براغماتية – تعود الى دوافع تخصّ المفكرين، ربما تكون طائفية أو فئوية، مما أدى بالضرورة إلى تقاطع الأفكار وتشتت الصور المرسومة في ذهن الغير عن الإسلام، ثم حصول الاختلاف في النتيجة المستخلصة من الدين، كونه الرسالة التي تدعو الى الحق الواحد، والإنسان الواحد، والحضارة الواحدة، في مقابل العقائد والافكار الاخرى.

ولذا اعتمدت القراءة النموذجية على النصّ الديني الإسلامي، وما يلتف حوله من قراءات وتفسيرات، بوصفه أقوى العوامل المساعدة على توحيد الرؤى واثبات الحقائق الإيمانية، واكثرها تأثيراً في الإنسان ومنهجه في الحياة، وبهذا يمكن عدّ النصّ الديني؛ الأساس الذي يقوم عليه انضباط الإنسان والتزامه بالمبادئ والقيم الالهية الداعية إلى الخير والحب والسلام، إذا ما تم تفسيره وفقاً لرؤى الحق والعدل، ليكون الدين هو النور الذي يُنيرُ دروب الإنسانية ويحافظ على قداسة مخلوق الله الأمثل – النفس البشرية – ليسهم في بناء الحضارة، ويمكن احتسابه أيضاً العنصر الفاعل في حرف المسيرة الإنسانية، وهدم الحضارة، ونسف القيم، في حال انحرفت

عملية تفسير النصّ الديني الإسلامي عن مسارها الصحيح، وباتت دلالة المعنى رهناً للأهواء والرغبات الشخصية تتمايلها يميناً وشمالاً، ليكون الفهم الديني بهذا المعنى مصدراً لهدم القيم، ونشر الفوضى، وإشاعة روح التعصب القبلي، والتمييز الطائفي، والقتل، والدمار.

● النصّ الديني وإشكالية الفهم

يبدو لي أن النصّ الديني الإسلامي بشكل عام يُعاني من إشكالية الفهم الصحيح لمفرداته ودلالته. وإلاّ فما معنى أن تقول طائفة إن الله ممكن رؤيته يوم القيامة بالعين المجردة، في الوقت الذي تنفي طائفة أخرى هذه الرؤية وتؤكد على أن الرؤية يوم القيامة هي رؤية قلبية، مع أن النص القرآني واحد، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، (سورة القيامة: ٢٢-٢٣)، فقد اختلفوا؛ هل الرؤية تعبير مجازي أم حقيقي؟ إلا أن السيد محمد تقي المدرسي – دام ظله – جمع بين الاتجاهين، برؤية لطيفة تُعبر عن كلا النظرتين، حيث قال: (إن النظر هنا بكلا المعنيين المجازي والحقيقي، فأما المجازي فإن المؤمنين يوم القيامة يتأملون من ربهم الثواب والكرامة، ويقطعون أملهم إلا منه. وأما الحقيقي فإنهم ينظرون إلى ربهم ببصائرهم لا أبصارهم من خلال آياته ونوره الذي يتجلى لهم إكراماً منه لعباده المتقين)[1]، وبما أن النظر الحقيقي واحد لا يختلف وهو نظر العين المجردة، لذلك لم يشأ سماحة السيد المدرسي – دام ظله – أن يذهب بعيداً في تأويل معنى الرؤية، مما دعاه أن يعطي دلالة واضحة المعنى لإثبات الجانب الحقيقي للرؤية عبر النظر إلى آيات الله الظاهرات في الوجود كله، فإن عين البصيرة تدرك حقائق آيات الله، حيث إن عالم الآخرة ذو مشاهد حقيقية تتجلى فيه عظمة الله وقدرته ورحمته، أضف إلى أن قراءة النصّ بهذا الشكل ينسجم مع رؤى العقل والإنسان الحضاري.

وتثمر لنا هذه القراءة نتيجة رائعة مفادها أن النصّ الإسلامي لا يخالف الفطرة السليمة الداعية الله تعالى، ولا يتقاطع مع أوليات العقل البشري ومعطياته التي اكثر ما تعتمد الحس والتجربة في اثبات الحقائق، وتفسير سماحته لهذه الآية بالمعنى الحقيقي وليس المجازي فقط، يملأ حاجة العقل المختبري ويُلقي عليه الحجة البالغة؛ إذ أن النظر الحقيقي إلى الأشياء والاحساس بعظمة وجودها حقيقة لا يرفضها حتى العقل التجريبي فكيف بالعقول الأخرى. وبذلك يكون سماحته قد سدّ الأبواب جميعها، عبر بيانه لكلا الاتجاهين الحقيقي والمجازي.

● قضية المنهج عند السيد المدرسي - دام ظله -

تحتل مسألة المنهج لدى السيد المدرسي – دام ظله – مساحة واسعة جداً في منظومته الفكرية، ولا ابالغ إن قلت إنه يسعى لأن يكون كل منتوج ثقافي علمي، مؤطراً بإطار القيم، وناتجا عن منهج محدد، بمعنى أن العمل الفكري عند سماحته قائم على أساس المنهج المتبع لديه. فهو يحدد المنهج قبل ان يدخل إلى حقل النص. لذلك نشاهده في كتابه التفسيري الكبير (من هدى القرآن) كيف يوضح منهجه في تفسير آيات الكتاب العزيز، قبل أن يدخل إلى رحاب النص القرآني. ومن جانب آخر سعى سماحته لأن يكون فهمه للنص فهماً حضارياً ينسجم مع الواقع، ويسهم في حل مشكلات الواقع الاجتماعي.

ومع الأسف هذا الأمر نكاد لا نرى له أثرا كبيرا عند الاتجاه المقابل لمدرسة أهل البيت، عليهم السلام، إذ أن غياب المنهج الواضح لديهم في قراءة النصّ أو ركاكته، وفقدان الرؤية الحضارية إلى الدين؛ ادى إلى ضياع صورة الإسلام الناصعة لدى اغلبهم، مما آل إلى ظهور التطرف والغلو في الدين والتشدد فيه والإفراط في اخذه، في حين قد بين الله تعالى لنا المنهج الصحيح في كيفية فهم النصوص الدينية والتعامل معه وفق منهج الاعتدال، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، (سورة البقرة: ١٤٣)، إلى غيرها من الآيات التي تدل على الوسطية والاعتدال.

إن الفهم الخاطئ لنصوص الأمر بالعروف والنهي عن المنكر أدى إلى اشكالات كبيرة في ساحة العمل الإسلامي، وخير دليل على ذلك ما حدث في باكستان سنة ٢٠٠٧م، حين قامت فئة من الذين يسعون إلى تغيير المنكرات في المجتمع، إلى استخدام القوة، فقاموا بتدمير واحراق المباني، وقتل الأفراد واختطافهم، في ظنهم أن لهم الحق في محاسبة الناس بهذه الطريقة. هذه الحادثة ومثيلاتها، ما يشهد به الواقع الإسلامي بشكل عام. والسبب الرئيس في ذلك هو الخطأ في المنهج المتبع لديهم في قراءة النص، حيث ابتعدوا بشكل كبير عن مدرسة أهل البيت، عليهم السلام، فخسروا دينهم ودنياهم؛ على حين أن مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من المسائل المهمة والخطيرة في الفقه الشيعي، ولذا هناك شروط دقيقة تختص بكلا الطرفين ينبغي احرازها وكذا موضوع «المسألة الشرعية»، ثم بعد ذلك يُترك الأمر للفقيه العادل ليقرر أصل هذه المسألة، آخذاً بعين الاعتبار الظرف المناسب والبيئة المناسبة، إذ ليست القضية بهذه البساطة كما ينظر إليها البعض.

ومما يُعاب على منهج التطرف والعنف أنه ليس لديهم مرجعية موحدة كمرجعية أهل البيت، عليهم السلام، مما اسفر عن تشتت الرؤى والمخرجات الفكرية نتيجة تشتت المناهج وتطرف بعضها.

ونتيجة الأمر تظهر من خلال عدة توصيات:-

١- توحيد المرجعية الفكرية التي يأخذون عنها معالم الدين.

٢- ابعاد الثقافات البشرية الملوثة عن قداسة النصّ الثابت.

٣- الرجوع إلى الأصول العامة في القرآن والسنّة.

٤- الاعتماد على منهج للقيم الإسلامية الأصيلة.

٥- تفعيل دور العقل في الكشف عن بصائر الوحي الإلهي عبر منهج التدبر

النصّ الإسلامي لا يخالف الفطرة السليمة الداعية الله تعالى

---

(١) آية الله السيد محمد تقي المدرسي/ من هدى القرآن/ ج ١١: ص ٣٩٩.

المزارات تسمو على محاولات التشكيك

• الشيخ ماجد الطرفي

حينما يطل الإنسان بنظره على وادي الصمت (المقابر)، يرى عن كثب وادياً يضم أجساد الفقراء والأغنياء، الصغار والكبار، جنباً إلى جنب، يراهم قد باتوا في سبات عميق وصمت رهيب، قد سلبت عنهم قُدراتهم وأموالهم، وما سخروه من الخدم، فلم يأخذوا معهم إلاّ الكفن؛ وهذه النظرة تدهش الإنسان وتدفعه إلى التفكير في مستقبله ومصيره، وربّما يحدّث نفسه بأنّ ما يراه، هو عاقبة هذه الحياة.

هنا يكمن الأثر التربوي لزيارة القبور على الإطلاق، ولدينا روايات تؤكد أهمية زيارة قبور الابوين أو احد المؤمنين الصالحين، ممن له مكانة عند الله تعالى، فما بالنا اذا كانت القبور تعود لأولاد الأئمة أو أحفادهم ممن استشهدوا في سبيل الله تعالى!

• الشفاعة عند أبواب الله -تعالى-

من أهم وأبرز الآثار المادية والمعنوية لزيارة قبور أولياء الله الصالحين؛ الشفاعة عند الله – سبحانه– في قضاء الحوائج الدنيوية المتعددة والكثيرة، وايضاً الحوائج المعنوية، مثل غفران الذنوب والتوبة النصوح، فيرجو الزائر من الله، بحق هذا المسجَّى، أن تقضى حوائجه، وهذا ما تميز به شيعة أهل البيت، عليهم السلام، وهذا ما سار عليه المسلمون منذ عهد الإسلام الاول.

جاء ذلك في الكثير من الروايات التي بينت أهمية الزيارة، منها ما روي أن النبي، صلى الله عليه وآله، لما رجع من غزوة بني لحيان، زار قبر أمه، آمنة بنت وهب، فتوضأ ثم بكى، وبكى الناس لبكائه، ثم صلى ركعتين، ثم أصلح قبرها بعد ذلك، وليست هذه المرة الأولى التي يزور فيها النبي قبر أمه؛ فقد زاره بعد رجوعه من عمرة الحديبية، وبعد فتح مكة، وبعد غزوة تبوك، وبعد حجة الوداع؛ وإنما تدل هذه الروايات على مشروعية الزيارة، والتوسّل بالمسجّى في القبر، والصلاة والبكاء عنده، وقراءة القرآن، والدعاء والسلام على الميت وغير ذلك، فإن الموتى يعلمون بمن يزورهم ويفرحون بذلك، ونحن نتأسى برسول الله، صلى الله عليه وآله، بما جاء به من السنّة السمحاء، وجاءت روايات كثيرة عن طريق أئمة أهل البيت، عليهم السلام، في فضل زيارة القبور وتعميرها، فقد روي عن أمير المؤمنين، عليه السلام، أنه قال: «زوروا موتاكم، فإنهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب أحدُكم حاجتَه عند قبر أبيه وعند قبر أمه بما يدعو لهما»[1].

ولو بحثنا في فطرة الإنسان، وطابقناه مع ما جاء به الإسلام الحنيف، للاحظنا أن الزيارة تمثل حاجة نفسية في كل انسان، لذا فهي مشروعة للأحياء ابتداءً، وقد ورد عنهم، صلى الله عليهم أجمعين: «مَن زار أخاه في جنب الله، فهو زَورُه، وحق على الله أن يكرم زوره»، ويتأكد الأمر لو كان صاحب القبر من الصالحين والشهداء في سبيل الله، كونهم من الأحياء عند ربهم يرزقون، يسمعون الكلام ويردون الجواب، ولكن هناك شيئاً اسمه «التقرُّب» بهم إلى الله –عز وجل– وقد جعل الله تعالى طريق الزيارة وصلة بين الأحياء والأموات لكي لا يُقطع حبل المودة بينهم، وهي علاقة روحانية بين المؤتلفات من النفوس في عالم الذر، كما قال المعصومون، عليهم السلام: «خلق الله الأرواح جنوداً مجندة ما تعارف ائتلف، وما تناكر منها اختلف».

• لماذا التشكيك بالمزارات؟

هنالك من يشكك في وجود بعض المزارات، بدعوى أنها «وهمية»، ولا وجود لشخص مسجّى مطلقاً، أو هنالك من يقول بحصول تغيير في اسم المسجّى، من اسم رجل الى اسم امرأة، بداعي التورية، فهل تصحّ أحكام كهذه على مراقد أبناء أهل البيت، عليهم السلام، وفي هذا الوقت بالذات؟

يعتقد البعض بأن هناك «ظاهرة» انتشار المزارات المنسوبة الى الصالحين، وأن بعضها وهمية، من صنع ذوي النفوس المريضة، ومن لا ورع لهم ولا دين، بدافع الكسب المادي، واستغلال الناس في حاجاتهم المستعصية، ويبدو أن هذه الإشكالية لا تختص بالعراق، وإنما ابتلي بها الشيعة في بلاد اخرى.

من المعلوم أن الهدف يحدد الوسيلة لا أن يبررها، لذا فان الهدف الأساسي في الحياة هو رضا الله – تعالى– فلابد من وجود بوصلة من القرآن الكريم نتخذها معياراً نحدد من خلالها سلامة الوسيلة التي توصلنا إلى رضا الله –تعالى– ومنها؛ زيارة المراقد المشرفة، علماً؛ نحن بصدد الحديث عن المزارات التي توجه اليها سهام الاتهام بأنها وهمية، وأمر كهذا هو في غاية الحساسية والخطورة، ويستدعي التعامل الحذر والدقيق، حتى نحفظ حرمة الدين والقيم ومنزلة الشخصيات العظيمة، وايضاً نحترم مشاعر شريحة واسعة من المجتمع.

الخطورة في طرح أمور كهذه تكمن أن هذا التشكيك يعطي الذريعة لأعداء أهل البيت بالتدخل بهذا الأمر بشكل هجومي وعدواني، وما يؤكد ذلك، واقع المواجهة المحتدمة على اكثر من ميدان بيننا وبين قوى التكفير والارهاب في داخل العراق وخارجه، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فان الخوض في موضوع كهذا ينطوي على استخفاف بمشاعر الناس وعقائدهم وشعائرهم الدينية، وبالذات في وقتنا هذا، حيث يسود الظلم في كل مكان، بحيث بات الدعاء والتوجه الى الله – تعالى– وأوليائه، هو المنفذ الوحيد للناس ليتنفسوا الكرامة والعدل فتوجهوا إلى الله تعالى، في بيوت {أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه}، وهي المقامات والمزارات للتوسل بهم لقضاء حوائجهم للدنيا والآخرة، وحسب «هذا البعض»، فان هذه الاجواء تشكل ذريعة يتخذها أصحاب المصالح الخاصة للتلاعب بمشاعر الفقراء والمحتاجين من الناس، ومن ثم يعطي الطرف المقابل الذريعة لاختراق الصف الشيعي والتشكيك بمراقده.

> عن أبي عبد الله، عليه السلام: "مَن زار أخاه في جنب الله، فهو زَورُه، وحق على الله أن يكرم زَوَّره"

وللرد على هذا الإشكال نقول:

هناك وسائل وطرق أو أعمال أو أقوال، من المحتمل أن تكون مقدمتها حسنة لكنها تؤدي إلى شيء محرم لا يحمد عقباه، ومن ثم تكون المقدمة «مقدمة حرام»، من باب منع ما يجوز لكي لا يحصل ما لا يجوز، ومن ثم غلق الأبواب على من يتخذ ذلك ذريعة للخوض في الحرام ونشر المفاسد، فالشّارع حينما ينهى عن شيء ينهى عن كُلّ ما يوصل إليه من متعلقات، وقد ذكر سماحة السيد السيستاني – دام ظله – عن تساؤل فيما هو المناط من حرمة الاختلاط، ومنه يعلم أنه مع خلو بعض الصور منه يكون غير محرم فقال: «المناط في حرمة الاختلاط، هو أن يكون موجباً لترتب المفسدة والانجرار الى الحرام، على تقدير عدم اشتماله على محرم».

وبعبارة أخرى: إن الاختلاط يكون محرماً إذا اشتمل على الحرام كالنظرة الشهوية، كونه يكون كذريعة لأصحاب المفاسد والخوض في الحرام، فضلا عن الملامسة والمصافحة.

وأيضا يكون محرما إذا ترتب عليه الحرام مثل المواعدة، والانزلاق المستقبلي، وإن كان في نفس وقت الاختلاط لا يشتمل على الحرام.

وهناك من الضوابط أيضا ما قال به علماؤنا الأجلاء: «كما يحرم على البالغين رجالاً أو نساءً، من الآباء، أو المسؤولين في المهرجان، تحقيق وتفعيل رقص الفتيات غير البالغات، وهنَّ في مثل سن التمييز كسن السادسة، وإن لم يبلغن سن التكليف، فإن رقص الفتاة المميزة أمام الرجال، أو مع الرجال، بأي نوع من الرقص مبغوض شرعاً، ويعطي الذريعة لمن لا يتورع الخوض بهكذا أمور فيحرم تحقيقه على من بيده القرار فيه»، خوفا من أن يتطور إلى ما لا يجوز، وهذه النقطة من أهم النقاط التي أوردها العلماء، لأنها لفتت النظر إلى أن الشرع قد أعطى الطفل المميز أحكاما لها خصوصيتها، بوصفه يعيش مرحلة بين مرحلتين –إن صح التعبير– فكونه غير مكلف؛ لا يعني جواز التعامل معه بدون أي ضوابط شرعية والسماح له بفعل كل شيء، بحجة أنه لم يبلغ سن التكليف، ومن ذلك حرمة تمكين الفتاة المميزة من الرقص أمام

لابد من الإلتزام بالضوابط الشرعية لمراجعنا العظام، لغلق كل ذريعة على أعداء شعائرنا العظام

الرجال بحجة أنها لم تبلغ تسع سنين وغير مكلفة.

كما بين سماحته أن رسالة التحريم هنا موجهة الى البالغين؛ رجالاً ونساء، ممن بيدهم القرار والتأثير على الفتيات في هذه المرحلة العمرية، فهم المسؤولون والمحاسبون إن قاموا بتمكين البنات المميزات من الرقص والاستعراض أمام الرجال، مما يعني أن المخالفة الشرعية التي تحصل في أماكن الفرح والابتهاج، تقع على من بيدهم القرار، قبل الاطفال.

إن الضابطة التي ذكرت، هي عدم الاختلاط بين الجنسين بما يؤدي عادة لتجاوزات شرعية، وعدم جواز رقص الفتاة غير البالغة أمام الرجال، وغير ذلك من الضوابط التي تكون مقدمتها جائزة، لكن إذا وقعت، تكون نتائجها وخيمة على صاحب القرار.

فهذا الضابط إذن؛ ضابط شرعي وضروري ولابد من التذكير به والحث على الالتزام به، وهو لا تعدو عن كونها ضابطة شرعية بعيدة عن أي تشخيص ومطابقا لرأي المراجع حفظهم الله. وتطبيقاً لأحكام كهذه، من غلق كل ذريعة على أعداء شعائرنا.

وهذا ما استند إليه جميع علماؤنا الأفاضل الى ما نحن عليه من هذا الإشكال الوارد في موضوعنا المتعلق بزيارة المراقد المقدسة، بكون هذه المزارات التي يقال عنها إنها وهمية ليس هناك دليل على كونها من المزارات! فيما لو قمنا بفتح هذا الباب على مصراعيه – علما أنه ربما يكون التشكيك احياناً في محله– من الافضل والأرجح أن تعالج أمور كهذه، في أوساط علمية متخصصة، وليس أمام جمهور الناس.

هذا النوع من الخطاب يترتب عليه مفاسد كثيرة ربما تصل إلى حد التجاوز على مشاهد المعصومين، عليهم السلام، وهذا ما يتربص به كل من يصطاد بالماء العكر، ويبحث عن ذريعة للتطاول على الرموز و الشعائر المقدسة، التي هي عنوان وهوية الإنسان المؤمن، علماً أن زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وأولادهم والصالحين منهم، هي قضية معنوية، ولا علاقة لها – بأصل الزيارة– بالمكاسب المادية، كما يتصوره البعض، وعلى غرار ذلك لمن يطلب رضا الله تعالى أن يتمسك بالوسيلة، كما قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾، (سورة المائدة: ٣٥)، فإن الله تعالى حثنا للتقرب إليه بالأسباب والمسببات، وهي الوسائل والطرق، والآية المباركة هي دعوى عامة تأمرنا بالتمسك بكل وسيلة توجب التقرب إلى الله تعالى.

(١) الكافي: ٣/٢٧٦.

الولادة: 1863 في النجف — الوفاة: 1933 في النجف

الرجل الذي قرر بيع داره لطباعة كتاب

● إعداد: مصطفى الطرفي

أحد أبطال الحوزة العلمية، عاش بين القرن التاسع عشر، والقرن العشرين، سجل علامة فارقة في اهتمامه بالفكر والثقافة والنشر الى جانب كونه عالم دين، فكان من صفاته استثمار الوقت في التأليف والتصنيف، وايضاً إخلاصه الشديد لمبادئه وأهدافه السامية، قد نقل عنه أنّه كان يقول: «إنّ غايتي من التأليف هو الدفاع عن الحق والحقيقة، وصولاً إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى، فلا ضير إن لم يُكتَب اسمي على غلاف الكتاب، أو يكتب اسم شخص آخر غيري»! حتى أن يوسف إليان سركيس في كتابه، «معجم المطبوعات» ذكر كتاب «الهدى إلى دين المصطفى» لشيخنا البلاغي في آخر الجزء الثاني ضمن الكتب المجهولة المؤلف، وربما كان رحمه الله يذيل بعضها باسماء مستعارة مثل «كاتب الهدى النجفي»، أو «عبد الله العربي» وغيرها.

ومن عديد الامثلة على شدة اهتمامه بالتأليف والنشر، انه ذات يوم تعرض لضائقة مالية شديدة وهو يروم طباعة كتاب له، فلم يجد أمامه سوى الدار التي يسكنها، وعدم امتلاكه غيرها، فقرر دون تردد بأن يبيع الدار ويسكن في الإيجار لتوفير المبلغ اللازم لطباعة الكتاب.

● ولادته ونشأته

وُلد الشيخ محمد جواد البلاغي في النجف الأشرف سنة ١٢٨٢هـ الموافق سنة ١٨٦٣م في بيت من أقدم بيوتاتها وأعرقها في العلم والفضل والأدب، ونشأ حيث وُلد، وبدأ دراسة العلوم الدينية منذ نعومة أظفاره في هذه المدينة المقدسة، فأخذ المقدمات عن أعلامها الأفاضل، ثم سافر إلى الكاظمية سنة ١٣٠٦هـ وتزوج هناك من ابنة السيد موسى الجزائري الكاظمي.

عاد إلى النجف الأشرف سنة ١٣١٢هـ فحضر الدروس عن علمائها الأجلاء منهم الشيخ الآخوند الخراساني، من ثم هاجر إلى سامراء سنة ١٣٢٦هـ فحضر عند الميرزا محمد تقي الشيرازي، لمدة عشر سنين، وألف هناك عدة كتب، وغادرها عند احتلالها من قبل الجيش البريطاني إلى الكاظمية فمكث بها سنتين مؤازراً للعلماء في الترويج للثورة ومحرّضاً لهم على طلب الاستقلال، ثم عاد إلى النجف الأشرف وواصل نشاطه في التأليف، فكان من أولئك الندرة الأفذاذ الذين أوقفوا حياتهم وكرّسوا أوقاتهم لخدمة الدين والحقيقة، فلم يُرَ إلا وهو يجيب عن سؤال، أو يحرّر رسالة يكشف فيها ما التبس على المرسِل من شكّ.

● جهاده

كانت جذوة سيد الشهداء، وأبي الأحرار، الإمام الحسين، عليه السلام، متّقدة في نفس الشيخ البلاغي، وهذا ما جعله حريصاً على القيم والمبادئ والرسالة المحمدية من أي خطر داهم، فقد عُرف بتشدده وتحفظه على كل ما يمتّ بصلة الى الدول الأجنبية، وكان يؤكد بأنها لن ترحل من البلاد الاسلامية، بل تبحث لها عن وسيلة جديدة للعودة والسيطرة عليها مجدداً والقضاء على هويتها الدينية.

هذه اليقظة والحساسية، دفعت الشيخ البلاغي للإحاطة بمقتضيات عصره، فصمم على تعلُّم اللغة الإنجليزية والعبرية، الى جانب اتقانه اللغة الفارسية، كما اطلع على الاناجيل والتوراة، وتمكّن من ترجمة بعض كتبه إلى تلك اللغات، بهدف الرد على المزاعم والأقاويل التي كانت تتسلل الى الساحة الاسلامية، وكان بذلك يرد كيد المعتدين الى نحورهم، قال عنه المرجع الراحل السيّد المرعشي النجفي – طاب ثراه– : «لقد شاهدته ولمرّاتٍ عديدة يقرأ التوراة بالعبرية، ويمُنتَهى الطلاقة».

ومن مواقفه المشهودة، تحريضه علماء الدين، وإثارة الراي العام ضد البهائية في بغداد، وإقامة الدعوة في المحاكم لمنع تصرفهم في المُلك الذي استولوا عليه في محلّة «الشيخ بشار» في الكرخ، الذي اتخذوه مقراً لهم لإقامة طقوسهم الخاصة، فقضت المحاكم بنزعه منهم، واتخذه – رضوان الله عليه – مسجداً تقام فيه الصلوات الخمس والمآتم الحسينية في ذكرى الطف وشعائر أهل البيت، عليهم السلام، بل كان من المدافعين عن «الشعائر الحسينية» بالرد على الشبهات الواردة من البعض، من خلال المشاركة بنفسه في المواكب الحسينية وأداء تلك المراسم وبكل فخر واعتزاز.

ومن مواقفه الجهادية؛ تضامنه مع علماء الدين في ثورة العشرين المجيدة التي قادها المرجع الراحل الشيخ محمد تقي الشيرازي – قدس سره– ضد الاستعمار البريطاني، وكان ذلك في سنة ١٣٣٧هـ.

والحديث يطول عن جهاده الفكري والثقافي، بيد أن الواجب الاشارة الى مواقفه الشديدة للتصدّي للفرق الضالة مثل؛ البابية والقاديانية والوهابية والإلحادية وغيرها.

فكتب في ردهم ودحض شبهاتهم، وفضح توافه مبانيهم ومعائب أفكارهم في عدّة كتب ورسائل قيمة، كما تصدّى بقوة للتبشير المسيحي الذي استشرى في العراق وفي غيره من البلدان العربية والإسلامية آنذاك.

● وفاته

توفي عالمنا الجليل، ليلة الاثنين ٢٢ شعبان ١٣٥٢هـ، الموافق ١٩٣٣/١٢/٩م، بعد معاناة من مرض «ذات الجنب»، ودُفن في حجرة آل العاملي في الصحن العلوي الشريف لمرقد أمير المؤمنين، عليه السلام.

الحاجة إلى قيام الدولة

• العلامة الشيخ محمد علي المحفوظ *

كلما ارتقى المجتمع في فكره وثقافته وتطلعاته كلما كانت له القدرة على تطوير نظامه الاجتماعي والسياسي نحو الأفضل، وهذا ما يُظهره التمايز الواضح بين مجتمعات وصلت إلى مراحل متقدمة على صعيد النظم السياسية والاقتصادية، وقطعت شوطاً واسعاً في مجال التكنولوجيا وغزو الفضاء، وبين مجتمعات تعيش في آخر الركب الحضاري، في حالة من الاستهلاك والاعتماد على الآخرين، وما صنع الفارق هو اعتماد العلم والمعرفة والكفاءة، بينما في الطرف الآخر؛ اعتماد العاطفة والتمنيات، وشتان بين المنهجين.

إن الحاجة أصبحت ملحة اليوم للارتقاء بصورة المجتمع مضموناً وشكلاً من خلال بناء الدولة الحديثة التي تعبر في أنظمتها عن شعور عميق وتفاهم مشترك بين أفراد المجتمع، وعلاقات بين مختلف المكونات الاجتماعية على أسس أخلاقية وإنسانية تقوم على التكافؤ والتنافس الشريف والتعاون لما فيه مصالح الناس جميعاً، وهذا بحاجة للخروج من الدوائر الضيقة والمصالح المحدودة، وتجاوز حالة التمحور ضمن الأنظمة الأسرية أو القبلية، والانفتاح على مفهوم الدولة الحديثة التي يتساوى فيها الناس جميعاً، بعيداً عن التعصّب للّون والعرق والتقاليد وما أشبه.

• الشعب قاعدة النظام السياسي

إن بناء الدولة الحديثة من خلال نظم اجتماعية وسياسية تعمل على تعزيز الترابط والأواصر بين الناس وتحقيق حاجات الناس مادياً ومعنوياً، وتحقيق حالة وطنية جامعة، يُسهم بشكل كبير في الوقوف أمام النزاعات والصراعات على النفوذ والسلطة، ويؤمّن الاستقرار بشكل كبير لكي ينطلق المجتمع في رحاب العلم وآفاق المعرفة، لتحقيق التطلعات في مجال التنمية والرفاه والازدهار.

إن التجارب العالمية وما وصل إليه العقل البشري من نماذج على صعيد بناء الدول وتنظيمها قد لا يكون بطبيعة الحال النموذج الأمثل، وليس هو نهاية المطاف، ولكنه بلا شك يمثل علامة فارقة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الفارق الكبير بين ما تحقق على صعيد الدولة الحديثة التي أخذ بها البعض من المجتمعات في عالم اليوم والتي تشكل حالة متقدمة في قدراتها وأنظمتها وإمكانياتها، ولا يحتاج أي مراقب لمزيد من الجهد لكي يلاحظ الفارق بينها، وبين مجتمعاتنا التي لا تزال حتى اليوم تعاني من غياب الدولة، و إن وجدت بالشكل والصورة والادعاء، ولكنها – والحقيقة ينبغي أن تقال– فارغة من المضمون.

وفي عالم اليوم الذي اختزل المسافات والمساحات الزمانية والمكانية إلى درجة أصبح يقال إن العالم تحول إلى قرية كونية صغيرة، فإننا لسنا بدعاً من المجتمعات، ولا ينبغي أن نكون بدعاً من الأنظمة والدول، وإنما ينبغي أن نتعلم ممن حولنا، خاصة ونحن الأضعف والأحوج، وأن نعتبر مما استفاد منه غيرنا فوصلوا إلى ما وصلوا إليه في شتى المجالات، وأن نعمل على الارتقاء بنظامنا السياسي لكي يتحول إلى دولة حديثة تتشكل فيه السلطة من خلال نظام قائم على تداول سلمي للسلطة، ونظام سياسي يقوم على الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، ويكون فيه الناس هم المحور الأساسي من خلال شراكة سياسية حقيقية في صناعة القرار تؤمن للناس سبل الحياة الحرة الكريمة.

إن الحاجة أصبحت ملحة اليوم للارتقاء بصورة المجتمع مضموناً وشكلاً من خلال بناء الدولة الحديثة

• الحاجة الى التضحيات والتنازلات

إن قيام الدولة بحاجة إلى الكثير من التضحيات والتنازلات والتفكير المشترك الذي يقود إلى عمل مشترك بين كافة الفرقاء والمتصدين على صعيد الواقع السياسي بعيداً عن مواقعهم ومواقفهم، ولا بد لنا من الخروج من واقع قد يراه البعض «مأزوماً» بينما ينظر إليه آخرون على أنه طبيعي ولكن الأكيد انه واقع «جامد» إذ ليس من الطبيعي ونحن نعيش في القرن الواحد والعشرين لم نصل بعد إلى درجة من القدرة على إدارة متقدمة لمجتمع صغير ضمن حدود جغرافية صغيرة أيضا، ولكن مشاكله وصل بها الحال إلى أن تتحول إلى قضايا أبعد من محلية وداخلية فأصبحت حديث القاصي والداني، إن كان في مجال حقوق الإنسان في البحرين، أو في مجال حاجات المواطن البحريني؛ سكناً ومعاشاً، وغيرها.

إننا بحاجة للقيام بخطوات سياسية وإعلامية لتسليط الضوء على عنوان رئيسي هام ومؤثر في واقعنا السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وهو الدولة ومكوناتها ومتطلباتها، ومقارنة الواقع الذي نعيشه من دون خجل أو تملق أو خوف، حتى لا نبقى حبيسي الأزمات والجمود والمبررات التي تلعب على وتر العواطف والمشاعر، ثم ليس وراء ذلك أي حراك أو نتائج في الحاضر ولا في المستقبل المنظور، وأنا أدعو الجميع لاستثارة عقولهم وأذهانهم بعيداً عن التعصب أو الانحياز، لكي نصحح المسارات في بلادنا من أجل مستقبل واعد لنا ولأجيالنا القادمة.

الدعاء وسيلتنا للتلاحم وسبيلنا للانتصار

• أنور عز الدين

الدعاء... هذه الكلمة الرقيقة ذات الابعاد الواسعة، تدلنا على مسالك الإيمان والبناء الروحي، كما تدلنا على البناء النفسي للانسان الفرد والمجتمع. انه يفتح للعبد باب المناجاة مع الله تبارك وتعالى، يُمكن للعبد التواصل مع خالق السماوات والأرض، كما أن الدعاء يفتح جسور العلاقات بين المؤمنين، إذ إنّ الكثير من الروايات تشير إلى أن دعاء المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب مستجاب عند الله – تعالى– بل ويدر الرزق لصاحبه، مما يدل على موافقة باطنه مع ظاهره، وذلك يشير للتقوى والصدق والترابط بين افراد المجتمع، وهذا بدوره يشدّ من أواصر المحبة، ويثبت دعائمها، وقد بشرتنا الآية الكريمة بذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾، (سورة مريم: ٩٦) وقال الإمام الصادق، عليه السلام: «الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السماوات والأرض».

عندما يكون للدعاء هذا الدور الواسع في التغيير والبناء، فإنه بالقطع يترك تأثيره في تماسك المجتمع والامة بإزاء التحديات التي تواجهها، وما اكثرها اليوم!

ومن أروع ما جاء في القرآن الكريم، أثر الدعاء في تعزيز الثقة بالنفس لمواجهة أعداء الدين، كما جاء في قصة جالوت وطالوت، وكيف أن الصفوة المؤمنة من المجتمع ناجت ربها – تعالى– للاستزادة من القوة والتفوق؛ ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، (سورة البقرة: ٢٥٠)، فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾، (سورة البقرة: ٢٥١).

بمعنى أن قوة المعنويات والتماسك الاجتماعي الذي يوفره الدعاء، من شأنه ان يكون مؤثراً في تقوية شوكة الامة أمام المتربصين بها، ولعل الامام السجاد، عليه السلام، خير من نستشهد به، وبما جاء في صحيفته السجادية، وتحديداً «دعاء أهل الثغور»، كما كانت أدعية سائر الأئمة المعصومين، عليهم الصلاة والسلام، إحدى عوامل النصر الإلهي للأمة على اعدائها.

وهذا ما نستفيده في الوقت الحاضر، حيث تواجه الامة خطر التكفير والارهاب الطائفي، وباتت الشعوب الاسلامية من افغانستان وباكستان، مروراً بالخليج واليمن ثم العراق وسوريا ولبنان وحتى المغرب العربي، بل وحتى البلاد الافريقية، كلها تشكو هذه الفتنة السوداء التي ما تزال تحصد الارواح وتسفك الدماء، فالدعاء والابتهال الى الله – تعالى– بنفوس نقية وقلوب خاشعة، من شأنها المساعدة على رفع هذه الغمة عن هذه الأمة.

دلالات من حياة الانسان الأول!

• الشيخ إبراهيم الميلاد

الاختلاف في الأديان والمعتقدات والأفكار والمشاعر بين البشر ظاهرة واضحة المعالم في كل زمان ومكان وجيل، ولقد بدأت تلك الظاهرة منذ اللحظة الأولى التي وجد فيها أبو البشر (آدم)، و زوجه (حواء).

فعلى الرغم من أنهما كانا على دين سماوي واحد منذ أن خُلقا، حيث يمكن فهم ذلك بالنسبة لآدم، عليه السلام، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾، (سورة البقرة: ٣٠)، وليس الخليفة إلا الانسان الكامل الذي لن يكون إلا نبياً أو وصي نبي، لعدم إمكان أن يتصف بوصف «الخليفة» على نحو الحقيقة غيره.

كما يمكن القطع الكامل بأن حواء، قد ولدت على الفطرة ولم تتردد في أن تأخذ معالم دينها من زوجها الذي كان نبياً يوحى إليه من السماء.

لكن اجتماعهما على دين واحد لا يعني أنهما شيء واحد فيما قد كانا عليه من تفكير و رؤى ومشاعر ومن ثم مواقف، فيما لا يكون ملزماً من الناحية الدينية. ولكنهما عاشا معا وأدى كل واحد منهما دوره المطلوب منه دينيا وحياتيا.

وبالرغم من قلة ما وصل إلينا عنهما من تفاصيل من خلال القرآن الكريم والروايات فيما يتصل بتفاصيل حياتهما، إلا أن ذلك كاف ليكشف لنا عن حقيقتين يمكن للأجيال أن يستفيدوا منهما في حياتهم المتجددة:

الحقيقة الأولى: إن الدين لا يمكن أن يقف عقبة أو حجر عثرة في أن يتعايش البشر فيما بينهم دينياً وهو الذي إنما انزل من السماء ليجمع القلوب وليوحد الصفوف ولينظم الحياة ويضمن القسمة العادلة بالحق للمصالح والفرص.

الحقيقة الثانية: إن تعدد البشر فيما هم عليه من انتماءات وحالات في الميول والأفكار والمشاعر لا يعني استحالة أن يندمجوا فيما بينهم ويتعايشوا على قواعد من الدين أو أنظمة اتفقوا عليها أو مصالح ومنافع يتطلعون لتحقيقها.

فالدين متى ما كان منسجما مع الفطرة كان أقوى عوامل التعايش والاندماج كما ان البعد الإنساني لدى البشر بطبعه يلتقي مع الدين تماما كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (سورة الروم: ٣٠).

وكما قال الإمام علي، عليه السلام، في وصيته الشهيرة إلى مالك الأشتر: «الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق». وهو أجمل و أدق تعبير عن ما أردناه من الكلام آنفا. فالحياة والاندماج والتعايش أنما يكون على احد هاتين القاعدتين: الإخوة في الدين أو الوحدة في الإنسانية وكل واحدة تكمّل الأخرى وتساندها وتفضي إليها.

• من يرفض التعايش؟!

ولكن الذي يلفت النظر ويستدعي التوقف في حياة الانسان الأول (آدم وحواء)، هو ما قد جرى بين ابنيهما؛ قابيل وهابيل، حيث أن الأول قتل الثاني بطريقة بشعة! في نزاع وقع بينهما وقد سجله القرآن الكريم، بشيء من الإسهاب، حتى قال تعالى في نهايته: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، (سورة المائدة: ٣٠). وهي حادثة يستحضرها القرآن للأجيال لأهميتها فيما يمكن أن تكشفه من حقائق، وتشير إليه من دلائل مقابل ما قد كان عليه الانسان الأول (آدم وحواء)، من كمال وإيمان لتكتمل صورة المشهد، وما يمكن أن تكون عليه المسيرة البشرية في القادم من الأزمان والأجيال في طبيعتها واحتمالاتها.

فقصة ابني آدم كشفت، أن في النفس البشرية قوتين يمكن أن تكونا متعاكستين في الاتجاه:

الأولى: العقل، الذي فيه سمو النفس عن كل ما يمكن أن يشينها ويقف أو يعرقل رقيها.

والأخرى: النفس، وما يختلط بها من الهوى الذي ربما تحركت بعيدا عن هدي العقل، فتغرق صاحبه في دوامة من التيه والعمى والعنف.

فقابيل حيث اتبع هواه، فطوعت له نفسه قتل أخيه، فقتله بدم بارد، بينما هابيل الذي هُدّد بالقتل، وربما كان يعلم بجدية التهديد له، إلا انه استعصم وأظهر تمسكه بالعقل والدين بقوله: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، (سورة المائدة: ٢٨). أو ليس رأس الحكمة مخافة الله؟!

وهي حادثة لم تكن لتقع خارج ظروف ذاتية وموضوعية قد كانت.

حقائق مستخلصة من الإنسان الأول

وهكذا نستخلص من بعض جوانب قصة الانسان الأول على نحو الإجمال الحقائق التالية:

أولاً: إن ارتباط البشر بالدِّين بدأ منذ اللحظة الأولى لوجود البشر على ظهر هذا الكوكب، فهما قرينان، وفي ذلك دلالة على أبدية الدين في حياة الانسان، وان مسيرته في الحياة لن تكون مستقيمة إلا بالإيمان به، والتمحور حوله، فهو الذي يرسم معالم العقيدة وينظم الحياة. ومن هنا كان آدم أبو البشر أول الأنبياء وهو الذي حمل الوحي وبلغ الرسالة لأهله (زوجته) و أولاده وأحفاده وبه بدأت سلسلة الأنبياء حيث ختمت بأشرف الأنبياء وأعظمهم محمد، صلى الله عليه وآله.

ثانياً: إن اللبنة الأولى في الحياة الاجتماعية للبشر إنما تتشكل من خلال علاقة الرجل بالمرأة (الأسرة) التي تقوم على رابطة قوية (ميثاق غليظ / العقد)، ومن خلالها وضمنها يمكن أن تتوسع دائرة العلاقات وتتشعب لتصل الى أوسع الدوائر كالمجتمع والدولة والأمة. أما صمام الأمان لكل ذلك فليس هو إلا الدين والأخلاق.

ثالثاً: إن غياب احد الوازعين الديني أو العقلي من شأنه أن يدخل العلاقات والروابط في نفق مظلم ودوامة من النزاع والشقاق الذي قد يتطور لينتهي بأطرافه الى التقاتل والاحتراب وهو ما سيؤخر حركة التاريخ من أن تواكب مقتضيات الحياة ومتطلبات الزمان وفي ذلك خسارة لكل الأطراف.

رابعاً: إن دراسة الماضي والاعتبار به واستلهام الدروس البليغة منه له عظيم الدور في التعرف على سنن التقدم وعوامل الرقي وفي ذلك استحضار لأهم عناصر الإصلاح والنهضة.

خامساً: لا شيء يمكنه أن يدمر الحياة ويؤخر المجتمع والأمم كالعنف الدموي الذي عادة ما يبدأ بعنف كلامي يسبقه انحراف فكري مصحوبا بنفسية قلقة نزاعة للشر.

إن قصة الانسان الأول تحمل من الدلائل (الحقائق) التكوينية والدينية والتاريخية، الشيء الكثير مما يعد بحق من الأصول الفكرية التي متى ما أحاط العقل البشري بها علماً، ووعي أبعادها، استطاع أن يبني على هداها واقعاً يمكن أن يسوده الإيمان ويحكمه العقل وترفرف عليه مبادئ العدل والأمن والحريّة.

---

* عالم دين وكاتب من القطيف

> إن تعدد البشر فيما هم عليه من انتماءات وأفكار ومشاعر لا يعني استحالة أن يندمجوا فيما بينهم ويتعايشوا

رغم مرور حوالي عقدين على ظهور العولمة

الثقافة الدينية وتحديات الأنماط الغربية

• السيد محمود الموسوي

تعدّ تأثيرات العولمة من أوسع التأثيرات على الحضارات والثقافات والدول والمجتمعات، من أي مؤثّر آخر، فليس تيار العولمة الجارف، كالتحديات التي مرّت بها دولنا ودول غيرنا، كالاجتياحات العسكرية، أو الاستعمار السياسي، أو محاولات الاجتراح الثقافي عبر التيارات الفكرية المختلفة أو عبر حركة الاستشراق أو محاولات التبشير المسيحي، وليست كالضغوطات الاقتصادية التي تمارس في بعض الحالات على بعض الدول الإسلامية والعربية؛ بل فاقت كل تلك التحديات التي مرّت على المسلمين في فترات متعاقبة، حيث إن لها امتدادات متنوّعة في مختلف المجالات، فقاعدتها اقتصادية، تستحوذ على الخيرات وتوسع الهوّة بين طبقة الفقراء وطبقة الأغنياء، وأهدافها سياسية، تتمثل في الهيمنة، ونتائجها انحرافات ثقافية وتغيرات اجتماعية واسعة.

ولا شك أن الفرد كونه يعيش هذه الدائرة، فهو مشمول بتلك التحديات التي قد تؤثّر فيه، وتنقله من حال إلى حال، وقد تتشكّل شخصيته من جديد وتصاغ وفقاً لشروط ومواصفات «عولمية»، ومن هنا تبرز مهمّة أن تُبحث التأثيرات الراهنة على الإنسان بوصفه فرداً مسلماً ملتزماً بدينه، كما دُرست آثار العولمة على الدول والثقافات والحضارات في وقت سابق، لأن الفرد هو المكوّن الأساس للمجتمع، وهو الذي تقوم على أكتافه الحضارات والدول، وهو المعني بتعاليم الإسلام التي جاءت لتكوّن شخصية رسالية مسؤولة تهتمّ بمجتمعها كما تهتم بدينها والتزامها، ولا شك أن الملاحظ في الواقع الإسلامي الراهن هو تغيّر الشباب وسلوكياتهم، بل يرى أن هنالك عزوفاً عن التديّن الحقيقي في بعض المناطق أو الدول، ولو بحثنا عن الأسباب التي جعلت فئة الشباب ينحون نهجاً معيناً غالباً يكون بعيداً عن روح التديّن، فإننا لن نجدها الأسباب القديمة؛ كالأمية، أو الإغراء المحدود، أو غير ذلك، فإن الواقع الذي فرضته موجة العولمة، أنبأ عن أسباب أكبر من التحديات التي كانت في السابق، إلا أن أصولها قد تكون واحدة، وقد تختلف في السعة واللون والمسمّى، وقد تدخل من مداخل مغايرة لم يألفها المجتمع من قبل، ولا شك أن أي جديد يحتاج إلى إعادة نظر جديدة للوصول إلى حلول تناسب ما يمليه من واقع.

• تحوّل الشخصية

إن مبدأ التغير، بحد ذاته وفي نفسه ليس مرفوضاً، بل على العكس؛ فإن سنّة الله -عزّ وجلّ- جرت على أن يقوم الإنسان بتغيير نفسه ويحولها من حال إلى حال، فقد ولد الإنسان ضعيفاً، كما قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾، (سورة الروم:٥٤)، وولد وهو لا يعي شيئاً، حيث قال -عز وجلّ-: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (سورة النحل: ٧٨)، وما هذا إلا ليقوم الإنسان وعبر ما أعطاه الله -عزّ وجل- من إمكانات (عقلية، وفكرية، وإرادية) لتغيير نفسه، وتشكيل شخصيته، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، (سورة الرعد: ١١).

وإذن؛ فالتغيير بحد ذاته مطلوب، بل هو ما يجب أن يؤدّيه الإنسان الفرد، ولكن المحذور هو «نوع التغيّر» وماهيته، أي الجانب الذي يتصل بالمضمون، فالتغيّر الذي أراده الله تعالى كما في القرآن الكريم هو التحوّل إلى الأفضل وإلى الصلاح، كما في سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، (سورة العصر)، فمن يترك نفسه وحالها دون أي إنجاز وتقدّم؛ تسير بشكل تلقائي نحو الخسران، فلا بد أن يضيف إليها العمل الصالح، والتفاعل مع المجتمع في دائرة إيجابية وتكاملية.

• التدين الشخصي ومضامين العولمة

إذن، المضمون هو المهم في عملية تأثير إرهاصات العولمة في الإنسان، وقد عرفنا من خلال سورة العصر أن الإنسان الرابح هو الذي «يعمل صالحاً، وهذا بُعد فردي، وهو من يتواصى بالحق والصبر أي الذي يتفاعل مع المجتمع في اتجاه الخير»، ولا شك أن أي حضارة لا تدّعي أنها تقوم بتدمير الإنسان أو أنها تبث مضامين الشر، فهي تقول أيضاً: إنها تبشّر الإنسان الصالح الذي يتفاعل مع مجتمعه بالصلاح، وهكذا هي ادعاءات الثقافة الأمريكية التي تشكّل المحتوى والمضمون الحقيقي للعولمة، إلا أن هذا الادعاء لا يرقى لأن يكون حقيقياً، وذلك لسببين:

الأول: أن واقع الحركة الأمريكية وواقع الثقافة الغربية بشكل عام من جهة المضمون الفكري، لا يستطيع أن يصنع إنساناً صالحاً ومجتمعاً صالحاً، لمشكلة أساسية في طبيعة هذه الثقافة القاصرة بذاتها، ولا نريد هنا أن نستغرق في إثبات ذلك لأنه سيأخذ أبعاداً مختلفة لا مجال لها، فنحن نناقش التحديات على التديّن الشخصي، وهذا يجعلنا في مرحلة متقدّمة على مناقشة مضمون الثقافة الغربية.

الثاني: وهو الأهم أننا أصحاب ديانة خاتمة وهي الإسلام، والإسلام دين إلهي، جاء بخطة متكاملة لصياغة الإنسان في أبعاده الشخصية والاجتماعية عبر بصائر الوحي وهدى أهل البيت، عليهم السلام؛ فأية عملية تسعى لأن تكون بديلاً عن تلك الوصفة الإلهية لصياغة الإنسان وتديّنه، فهي مرفوضة، وهو ما ينبغي أن نواجهه ونحبط حبائله، لأنه يتناقض مع الشخصية الرسالية التي يرتضيها الله -عزّ وجل-.

• أساليب التأثير على المستوى الشخصي

هنالك تداخل واقعي بين مختلف المناحي الحياتية، فالسياسة تؤثر في الاجتماع، والعكس، والاقتصاد يؤثر في الثقافة والعكس، والمجتمع يؤثر في الفرد، والعكس صحيح، بسبب هذا التداخل والتشابك في عملية التأثير، فإن المستوى الشخصي سيكون معرّضاً ومتأثراً بكل تلك القوى، كل واحدة من جهتها، وبمقدار ارتباطها بحياته وسلوكه، إلا أننا نركّز على الأساليب المباشرة، والأسباب التي عملت على التأثير في التديّن، وهي أساليب اتبعتها جهات ذات مصالح تؤكد على الربح المادي، والاستعباد السياسي للآخرين، ويمكن أن نحدّد أكثر ونقول: إن الخطط متعددة، ولكن القاعدة واحدة.

القاعدة التي يدخل من خلالها أولئك وهي مصداق لحبائل الشيطان، أنهم يغيّرون مؤشّر الحب والبغض، والحسن والقبح، من أجل الاستحواذ على الشباب، عبر انجذابهم نحو ما يحبون وما يرونه حسناً، ويعتزلون ما كان خلاف ذلك لديهم، وهي بتعبير آخر التحكّم في حركة الذوق الإنساني ليكون تابعاً لما يريدون، حتى وإن كان ذلك خلافاً لسنن الله - تعالى- وقوانينه، فعندما تتغيّر المعايير التي يشكّل الإنسانُ على أساسها انتماءه، فهو بالضرورة يتغيّر في اتجاهها، وقد أجمع الكثير من العلماء والمفكرين على أن أهم خطط العولمة الغربية هي التلاعب بالأذواق، ويحدث هذا عادة عبر سلسلة معقّدة من العمليات المختلفة اعتماداً على تداخل العلوم الذي ذكرناه، ومن جهات متعددة، وهنا نعرض عملية تبسيطية تبيّن الحاجة إلى تغيير الذوق الإنساني والاستفادة منه في الوصول إلى مآرب أخرى:

لكي يحصل الرأسمالي على السوق في البلدان الإسلامية، فإنه لابد أن يسعى للهيمنة السياسية لفتح الأسواق بأقل تكلفة ممكنة، ولكي يحصل الرأسمالي المتمثل بالشركات المتعددة الجنسيات، على الربح في السوق الإسلامية، عليه أن يجد من يرغب في شراء سلعته (الطلب)، ولا يحصل على أولئك إلا إذا قام بشتى الوسائل بتغيير أذواق الناس، لكي تتطابق مع ذوق الإنسان الغربي، ليلجأ الناس لشرائها والإقبال عليها، إذن عليه أن يستفيد من كل التقنيات المتوافرة، والإعلام المنتشر لبلوغ ذلك الهدف.

هذا مثال تبسيطي، ولكنه واقعي مائة بالمائة، يطبّق بشكل منظّم و مدروس، وبمسميات مختلفة في واقعنا وفي دولنا.

يقول الدكتور علي محمد النقوي: «بانتشار الاتجاه الغربي في الدول الإسلامية، أشاعت الرأسمالية الثقافة الاستهلاكية بواسطة عملائها، حيث كان أصحاب المصانع الغربيون يدركون أن ترحيب مجتمع معين أو عدم ترحيبه بمنتجاتهم يرتبط ارتباطاً تامّاً بالعوامل التاريخية والدينية والذوقية والثقافية والفنيّة ونمط المعيشة الفردية والاجتماعية للمجتمع، وحتى بآدابه وفلسفته، بأمور أخرى من أمثال حب الجمال، وفن العمارة الشائع، أساليب إنشاء المدن، ولكي يرحب الشرقيون والآسيويون والأفريقيون بمنتجاتهم لابدّ لهم من أن يتحوّلوا إلى مقلّدين في جميع المجالات المذكورة، ولن تحظى المنتجات الصناعية الغربية بالقبول إلا إذا لبس الآسيويون والأفريقيون كما يلبس الغربيون، وأكلوا كما يأكلون، وكذلك فعلوا في نومهم ومشيهم وجلوسهم ورقصهم ولعبهم وحروبهم». [1]

إذن؛ الذوق مدخل من مداخل التأثير والتغيير، وإذا راجعنا القرآن الكريم، نراه قد أكّد على أن الحب والكره، والإعجاب وعدمه، ليسوا عناوين للحق والباطل، ولا تدور مدار صلاح الإنسان وخيره، فهي لا تعطي قاعدة تامّة ولا يمكن أن يعتمدها

> إن من الاتجاه الغربي في الدول الإسلامية، أشاعت الرأسمالية الثقافة الاستهلاكية بواسطة عملائه

إن سنّة الله -عزّ وجلّ- جرت على أن يقوم الإنسان بتغيير نفسه ويحولها من حال إلى حال

الإنسان في تأسيس حركته، حيث يقول تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾، (سورة البقرة: ٢١٦).

ومن ذلك يؤسس ربنا -عزّ وجل-، قاعدة المفاضلة على أساس الدين والإيمان، لا على أساس الحب والإعجاب حيث يقول -عزّ وجل- ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، (سورة البقرة: ٢٢١)، فالآية الكريمة تدعونا إلى الوصول إلى العمق لنبصر ماهية الثقافة المحركة لهذا المجتمع أو ذاك، لكيلا تسوقنا مشاعرنا بما زيّنت لها بهرجة الحضارات، إلى نكران الحقائق الكبرى وصدّ الهدى والابتعاد عن المنعم الذي أغدق علينا تلك النعم ووفقنا للوصول إليها ومعرفة مآلاتها.

تمثّلات التحديات في الواقع اليوم

ما نجده من مظاهر تخلّي بعض الشباب عن حالة التديّن له أسباب عديدة، تتوزع بين الأسباب الداخلية التي ينتجها المجتمع نفسه أو يقوم بها الفرد ذاته كمحرّك وباعث من المجتمع نفسه، وبين أسباب خارجية، تقوم بها جهات مختلفة لتحقيق مآربها الخاصّة، ولأننا نتحدّث عن مؤثرات العولمة، فإننا نحصر الحديث في الجانب الخارجي وما يقوم به من دور في تفكيك تديّن المسلم عبر مدخل تغيير الذوق، ونذكر هنا بعضاً من تلك التمثلات الواقعية لا على سبيل الحصر:

١-إعلام الغرائز

لا يمكن أن نفرّق بين وسائل الإعلام العربية والغربية اليوم، كما يقوم به الباحثون عند دراستهم للظواهر الاجتماعية المختلفة، كل على حدة، بل أصبح الآن وبفعل الانفتاح الفضائي كل شيء متاحا في كل بيت، فتقوم القنوات الغربية بالتأثير بشكل مباشر في المشاهد المسلم، بما تبثه من مواد، فضلاً عن أن القنوات العربية إنما هي تابعة لمثيلاتها الغربية ومقلّدة لها في جانب، ومستوردة لأكثر من ٦٠٪ من موادها الأخرى من القنوات الغربية، فقد استخدم الإعلام إلى غير ما وضع له، وهي الرسالة التي تبثّ المعلومة الصادقة، والتوعية والرقي بالمجتمع، فأصبحنا أمام إعلام مغاير، تتسابق فيه الفضائيات لمشاهد الإثارة، والعنف، واللهو، ولا شك أن هذا يعمل على جذب الكثير من الشباب، فيقومون بالأعمال نفسها، أو تحدد أدوارهم للّهث وراء سحر الشاشات وضياع الطاقات والأوقات، مما يضطرّهم للتخلّي عن الطاعات، وارتكاب المعاصي.

٢-إشاعة النمط الغربي

تقوم الشركات الغربية الكبرى بخلق أجواء متطابقة مع النمط الغربي، في المأكل والملبس والسلوك، من خلال التسويق والترويج لسلع مختلفة، من مواد غذائية وملبوسات ومستلزمات عديدة، ربما منها الهواتف الذكية واللوحية وغيرها التي انتشرت تحديداً بين الشباب وحتى الصغار السن.

١-الموضة

ظاهرة الموضة بصورتها الموجودة في مجتمعاتنا هي تجسيد لحالة اللهث وراء الإعجاب والمظاهر الأخّاذة ولو على حساب الشرع والدين، ومنها على سبيل المثال؛ لبس المرأة وتحولاته.

٢-الشباب

وتتحرك عملية تغيير الأذواق، أو العمل على اتباعها بشكل مطلق، في شكل التأكيد على فئات عمرية على أساس استقلالها، وهم فئة الشباب من الجنسين، فقد أشاع الاتجاه الغربي أن فئة الشباب يحتاجون إلى تجمعات شبابية مستقلة، لكي يمارسوا حياتهم، وفقاً لمتطلبات فئاتهم، وبالطبع فإن النظر للفئات العمرية على أن لها احتياجاتها الخاصة، شيء موافق للحقيقة، وقد أعطى الإسلام هذه الخاصية لكافة الفئات العمرية، إلا أن التفكيك التام هو موطن المشكلة، حيث إن مرحلة الشباب تحتاج إلى التوجيه والإرشاد، ثم إن المجتمع هو نسيج يقوم كلٌ بشد عضد الآخر، أما العزل وإيهام الشباب بأنهم ينبغي أن ينفصلوا عن المجتمع بالمطلق ليشبعوا رغباتهم المتناسبة مع فئتهم العمرية، فهذه عملية تنطوي على مخاطر مستقبلية تسهّل دخول سياسة «الأذوق» إليها خصوصاً مع العلم بخصائص هذه الفئات الطبيعية.

٣-الأطفال رهان آخر

الاتجاه الغربي، يسعى لجعل الطفل يرتبط برموز الثقافة الغربية، ثم يكبر وتكبر معه هذه العادة، وذلك عبر إغراق السوق بالسلع المحببة للطفل، مثل الالعاب او بعض الاطعمة المحببة للطفل، مثل السكاكر والحلويات المختلفة، بعد أن يتم الترويج لها إعلامياً، وايضاً موديلات الملابس الخاصة بالاطفال الذكور والإناث، وكل ما يطلق عليه بالسلع الثقافية.

معالجة مختصرة

للحفاظ على التديّن الشخصي من تحديات العولمة المتمثّلة في التلاعب بأذواق الناس، وجعلها مقياس القبول والرفض، يمكن من خلال التالي:

١- إشاعة ثقافة القرآن في استخدام الذوق، والاعتماد على الانجذاب الظاهري في موضوعاته المخصصة، والفصل بينها وبين ما هو من عمل العقل والإيمان.

٢- إيجاد وسائل التأثير الإعلامية واستخدام التقنيات الحديثة في إشاعة الفضائل ومكارم الأخلاق، بتأسيس فضائيات متعددة ترقى للتحديات الموجودة، والاستفادة من مختلف اشكال وسائل التواصل الاجتماعي عبر الهاتف النقال.

٣- خلق أجواء دينية واجتماعية ملتزمة، تفوق تلك التي تتربّع في بلادنا، عبر الاستفادة من الشعائر الدينية المتنوّعة.

٤- طرح المفاهيم الدينية ومكارم الأخلاق بأشكال محببة وجذّابة، كما قال تعالى:

﴿وَلَكِنَّ اللّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾، (سورة الحجرات: ٧).

* عالم دين من البحرين.

١- الدكتور دلدار علي محمد النقوي، عالم دين من بلاد الهند.

مسائل ابتلائية

التوسّل بالأئمّة

س: سمعت أن لكل إمام معصوم من أئمتنا الطاهرين، عليهم السلام، ميزة يتميز بها عن الباقين من الأئمة في قضاء الحوائج، فمثلا من أراد الفرج من أزمة مالية فعليه التوسّل بالامام الجواد، عليه السلام، وهكذا في بقية المعصومين، عليهم السلام، فهل هذا صحيح؟ واذا كان صحيحاً فما هي ميزة كل معصوم؟ ولماذا ذلك؟

ج: كل المعصومين - عليهم أفضل الصلاة والسلام - هم مقربون إلى الله تعالى، لأنهم الأكثر طاعة لله عز وجل، وبإمكان المؤمن أن يجعل أي واحدٍ منهم وسيلته إلى الله تعالى في كل حاجاته وأموره، ولا فرق بينهم في الحاجات المختلفة.

المستحبات نيابةً عن المعصوم

س: هل يُستحب تأدية الاعمال المستحبة نيابةً عن المعصومين، عليهم السلام؟ وإذا كان يجوز فهل ذلك الجواز في مطلق الاعمال المستحبة، مثلا في القنوت في الصلاة انويه بالنيابة عن المعصوم، عليه السلام، والدعاء في الركوع او السجود او غيره؟

ج: ١- لاشك في استحباب القيام بالمندوبات نيابة عن المعصومين، عليهم السلام، فهذا دليل الولاء والمودّة.

٢- في الأعمال الواجبة الشخصية، كالفرائض اليومية، لا تصح نية النيابة فيها عن أحد، والظاهر هذا يشمل مستحبات الأعمال الواجبة أيضاً.

بيعة الإمام الغائب

س: إن الموالين، شيعة اهل البيت، عليهم السلام، في زمن كل امام كانوا يتشرفون ببيعة إمامهم وكانوا يبايعونه، والسؤال الآن: كيف نبايع إمامنا الغائب في عصر الغيبة؟

ج: قراءة دعاء العهد كل يوم أو كل جمعة كاف إن شاء الله تعالى للبيعة.

تعظيم الإمام القائم

س: ما الحكم في وضع اليد على الرأس عند الدعاء للقائم المهدي، عجل الله تعالى فرجه؟

ج: لا بأس بذلك اقتداءً بالإمام الرضا، عليه السلام، حيث ورد في الحديث أن الإمام، عليه السلام، لما ذُكر القائم بمحضره وضع يده على رأسه وتواضع قائماً ودعا له بالفرج.

توقيت الظهور

س: يراود الكثير منا هل نحن في عصر ظهور (الإمام المهدي)؟ إضافة إلى أن هناك أحاديث عن الرسول، صلى الله عليه وآله، واهل بيته تُكذّب الوقاتين، وهم الذين يحددون وقتا لظهور الامام، عليه السلام؟

ج: حسب الكثير من الروايات المأثورة عن المعصومين، عليهم السلام، فإن الله تعالى وحده يعلم وقت الظهور وما يُقال غير ذلك لا يُؤخذ به.

طلب الحاجة من الله

س: إذا كنت أستطيع طلب حاجتي من الله، سبحانه، ومن الامام علي، عليه السلام، فهل الأولى طلبها من الله عز وجل أم من الامام، عليه السلام، ام لا توجد أولوية؟

ج: لا فرق، فالطلب من الله تعالى هو طلب مباشر، والطلب عبر الإمام، عليه السلام، هو الطلب من الله بواسطة من هو أقرب منا إلى الله تعالى.

في ذكرى مولده المبارك

ولاية العهد وهوية القائد الحقيقي

• ماجد ياسين عيسى

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾، (سورة الأنبياء: ٧٣)

يقول الإمام علي بن موسى الرضا، عليه السّلام: «إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ وَنِظَامُ الْمُسْلِمِينَ وَصَلَاحُ الدُّنْيَا وَعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْإِمَامَةَ أُسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِي وَفَرْعُهُ السَّامِي، بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَتَوْفِيرُ الْفَيْءِ وَالصَّدَقَاتِ وَإِمْضَاءُ الْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ وَمَنْعُ الثُّغُورِ وَالْأَطْرَافِ»

العقيدة والقيادة والحكم؛ ثلاثة عوامل مهمة لبناء الانسان والأمم، وبها يتم تعمير البلاد، ويؤمّن رفاه العباد و رقيّهم، وإذا دار الأمر أحياناً بين تقديم العاملين الأولين أو تقديم العامل الثالث، فإن هذين العاملين مقدمان، لأنهما يشكلان أساس الحكومة، أما الحكومة فليس من شأنها أن تشكل أرضية يستند إليها المذهب أو القيادة، إنما جهة تنفيذية حسب التصنيف الحديث لمؤسسات الدولة.

وقد شاءت إرادة الله تعالى أن تكون هذه العوامل الثلاثة على طول التاريخ، والى يوم القيامة، متوفرة للمجتمعات الإنسانية، ولأجل هذا اصطفى الباري -عز وجل- الأربعة عشر معصوماً، عليهم السلام، ليقدموا للناس نموذج الحكم المتكامل بابعاده الانسانية والدينية، وقد حصل ذلك خلال عهد النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله، وعهد أمير المؤمنين، عليه السلام، كما سعى الى ذلك؛ الأئمة الاطهار من بعده، فبذلوا كل جهودهم، وقدموا التضحيات الجسام لتبين الحقائق كلها للمسلمين وللبشرية جمعاء، في مقدمتها؛ القيادة والعقيدة الصحيحة.

الى جانب هذا، ربى الأئمة، عليهم السلام، أبناءهم وشيعتهم السائرين على خطاهم، على هذه الثقافة الأصيلة، حيث تكون الموازين واضحة جليّة، والقيم والمبادئ مصونة أمام أي نوع من الانحراف والزلل؛ سواء من الحكام أو من المحكومين، وقد سجل التاريخ لهم مواقف بطولية متميزة في مختلف الأدوار، لذا ورد عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ الإمام محمد بن علي الباقر، عليه السّلام، أنهُ قَالَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالصَّوْمِ، وَالْوَلَايَةِ، قَالَ زُرَارَةُ: فَقُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: الْوَلَايَةُ أَفْضَلُ، لِأَنَّهَا مِفْتَاحُهُنَّ، وَالْوَالِي هُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِنَّ».

واقتضت حكمة الله تعالى أن لا تخلو الأرض من حجة على الناس، لإقامة الحكومة الإلهية على الناس كافة، ورد عن الإمام أمير المؤمنين، عليه السّلام، في جوابه على سؤال عن استمرار الإمامة، قال: «اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، وإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَبَيِّنَاتُهُ».

• رسم معالم القيادة

كانت نتائج الطريق الذي مضى عليه الامام الرضا، عليه السلام، وهو في خراسان، باهرة ومضيئة للتاريخ والمسلمين على مر الاجيال، لرسم معالم القيادة الرسالية الهادفة لنشر العلم والثقافة دون الحاجة الى سلطة القوة والقهر والتضليل.

وقد أسفر تخطيط الإمام هذا، عن ثمار شهده المجتمع الاسلامي آنذاك في خراسان، كما لمسته سائر المجتمعات في الامصار كافة، حيث تم التكشف عن الواقع السياسي المرير، وتعرية الحكم العباسي بعد إسقاط كل الاقنعة التي تستر بها وتقاطعت مع ثوابت الاسلام، وجانبت الشريعة الغراء، وابتعدت عن مصالح الامة في أثرة لا مثيل لها، مما أوجد نموذجاً يقترب الى النموذج الجاهلي ويبتعد عن النموذج الحضاري الاسلامي.

وجاءت موافقة الإمام الرضا، عليه السلام، على اقتراح المأمون عليه بولاية العهد، في ظل التهديد العلني بالموت، بيد أن هذه الموافقة لم تأخذ طابع الضعف والتراجع قطعاً، إنما اخترقت الارادة السلطوية للمأمون بشرط اساسي، وهو أن «لا يعين ولا يعزل»، فوافق الاخير، بمعنى أنه، عليه السلام، أغلق الطرق كلها بوجه كل من تسول له نفسه الاستفادة من وجود الامام في البلاط، لتحقيق مصالحه السياسية، والتي تكون لها آثار سيئة وخطيرة على مستقبل الأمة والدين الإسلامي، فالإمام، عليه السلام، لم يبق ذلك الإجبار طي الكتمان، فأعلن انه لن يقبل ولاية العهد مختاراً وإنما قبلها بعد إكراه وتهديد. وقد عرّف المأمون بنواياه الحقيقية عندما قال له، عليه السلام:

«...تريد أن يقول الناس إن علي بن موسى لن يزهد في الدنيا بل الدنيا زهدت به، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعا في الدنيا و طمعا في الخلافة».

وكون أن الإمام العالم العارف بجميع الظروف الموضوعية لا يحتاج إلى غيره لكي يحدد له مسارات تحركه وبنود أعماله، فالظرف التاريخي وما يحيط به من ملابسات، وما يتعلق به من أحداث قريبة أو بعيدة، كانت تشكل الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي آنذاك، لذا فان قبوله بولاية العهد او رفضها، لم يكن من منطلق حفظ النفس من القتل فقط، وإنما التطلع الى الفوائد المترتبة على هذا العمل، باستمرارية الرسالة المحمدية وبقائها نقية بيضاء من كل دنس، وهذا ما كان يتطلع إليه الإمام الرضا، سلام الله عليه، عند موافقته على عرض المأمون، فكيف به والحال انه أجبر على الموافقة، وهناك نفوس بريئة – من العلويين أو غيرهم – يراد حفظ دمائها والمحافظة عليها؟

جاء في التاريخ أن الإمام الرضا، عليه السلام، رفض التعاون مع جماعة داخل البلاط أرادت اغتيال المأمون، وضيع فرصة ذهبية عليهم، بحجة إعادة الخلافة المغتصبة، وهذا دليل آخر على بعد نظر الإمام، عليه السلام، ربما كان هناك ما يخشاه على الإسلام واستمرارية رسالة السماء، وربما جاء تجاهله للمحاولة الانقلابية، وجود أعداء داخل الحكم العباسي ينوون شراً بالإسلام، أمثال الفضل والحسن بن سهل، اللذين كانا يضمران للإسلام وأهل البيت، عليهم السلام، كل الحقد والكراهية، وهناك دلائل تاريخية تشير إلى أن هؤلاء كانت لهم خطة لتصفية الإمام والمأمون معاً،

> كانت ولاية العهد خير فرصة لمواجهة أهل الجدل والزندقة، والافكار المنحرفة التي تسللت الى الأمة، ولعل هذا يفسر كثافة ما ورد عنه، عليه السلام، في الحقبة التي كان فيها ولياً للعهد

كانت نتائج الطريق الذي مضى عليه الامام الرضا، عليه السلام، وهو في خراسان، باهرة ومضيئة للتاريخ والمسلمين على مر الاجيال، لرسم معالم القيادة الرسالية الهادفة لنشر العلم والثقافة دون الحاجة الى سلطة القوة

والاستحواذ على الحكم.

● كيف تعامل الإمام مع منصبه؟

شهدت حقبة المأمون تسلل مختلف الافكار والعقائد المنحرفة عن طريق الرسالة، فظهر الزنادقة وأهل الجدل والتشكيك في أوساط الأمة، وتوغلوا في مختلف المحافل العلمية، الامر الذي استدعى التصدّي لهم بقوة، وهذا لا يكون إلا بقوة علمية بتسديد إلهي متجسدة بالامام الرضا، عليه السلام، بمعنى أن ولاية العهد كانت خير فرصة لمواجهة هذا المد وتفنيد كل افكاره وطروحاته، ولعل هذا يفسر كثافة ما ورد عنه، عليه السلام، في الحقبة التي كان فيها ولياً للعهد، ولو ليس كاملاً، وما نقله لنا التأريخ من تلك الحقبة تحديدا، جزء يسير مما قيل وحصل، ومنها المناظرة المعروفة مع زعماء الاديان والمذاهب في قصر المأمون.

ورب سائل يتحدث عن مسألة شرعية بحرمة التعاون مع حكام الجور والظلم، وهذا صحيح بـ «العنوان الأولي»، كما هو المصطلح العلمي في الفقه، ولكنه في «العنوان الثانوي» يكون مستحبا في بعض الموارد، وواجباً في موارد أخرى، كأن يتوقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قبول منصب من طرف الظالم، فحينئذ يكون القبول ملزماً، أو تكون هناك أهمية تفوق مسألة عدم التعاون كأن يحمي نفسه واتباعه في حقبة من الزمن لحين تمكنه من تقوية نفسه والاستعداد لخطوة جديدة، أو يتعاون لحين الانتهاء من دفع خطر أعظم متوجه نحو الإسلام والمسلمين، وكل هذه الأمور منوط تشخيصها بالإمام المعصوم؛ فهو الوحيد القادر على تشخيص الحكم وتعيينه، لحكمة معينة، او لظروف خاصة يراها مقدمة على غيرها، وهذا ما نراه جلياً من رسالة الإمام الكاظم، عليه السلام، لعلي بن يقطين عندما طلب منه البقاء في منصبه في عهد هارون «الرشيد» حيث قال له: «عسى أن يجبر الله بك كسرا ويكسر بك نائرة المخالفين من أوليائه»، واليوم فان مسألة التعاون مع الظلمة منوط بشورى الفقهاء باعتبارها الجهة الشرعية الوحيدة التي تستطيع تشخيص الحكم وتحديد الأولويات وتقديم الأهم على المهم، وخصوصاً في وقتنا هذا.

من هنا؛ فان الإمام، عليه السلام، عندما أكره على قبول ولاية العهد، أراد الحصول على اكبر قدر ممكن من الفوائد والمكاسب للاسلام والمسلمين، مع علمه بأنه سيُستشهد بعد مدة قصيرة، ومن المعلوم أن الحفاظ على النفس ولو لساعات قليلة افضل من إلقائها في التهلكة، وخصوصا أن الظروف التي كان يعيشها الإمام الرضا، عليه السلام، هي غير الظروف التي عاشها الإمام الحسين، عليه السلام، والتي كانت تتطلب إراقة دمائه الزكية لإحداث هزة عنيفة في نفوس المسلمين، ولو فعل الإمام الرضا ذلك في ظروفه تلك لضاع دمه ولما حصلت فائدة تذكر من حياته الشريفة.

وهذا ما لم يفهمه البعض من السطحيين في التفكير، فقال أحدهم للإمام: «أصلحك الله يا بن رسول الله! كيف يرد اسمك مع أسماء هؤلاء وقد رفض آباؤك من قبل مثل هذا؟! فقال، عليه السلام: «قد علم الله كراهتي لذلك فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل، اخترت القبول على القتل، ويحهم أما علموا أن يوسف، عليه السلام، كان نبياً رسولا، فلما دفعته الضرورة إلى تولي خزائن العزيز قال له: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه و إجبار، بعد الإشراف على الهلاك، على أني ما دخلت في هذا الأمر، إلا دخول خارج منه. فإلى الله المشتكى، وهو المستعان...».

وهذا الاستدلال المختصر، ربما يكون خير جواب على أولئك الذين يرون في قبول ولاية العهد من قبل الإمام الرضا، عليه السلام، بابا واسعا لهم للتعاون المطلق وغير المشروط مع حكام الجور والظلمة وذريعة يتشبثون بها عند كل ملمة تواجههم، على أن الإمام الرضا، عليه السلام، سبقهم في القبول بالحكم والسلطة، كما يحلو للبعض إطلاق صفة «السلطان» على الإمام الرضا، في حين هو، عليه السلام، وسائر الأئمة المعصومين، عليهم السلام، يصرحون ويؤكدون أنهم في غنى عن هذه الالقاب الزائفة والزائلة.

● كيف يكون القائد الصالح؟

قبل ان ينجح الامام الرضا، عليه السلام، في تجربته السياسية، كان النموذج الأسمى للقائد المحنّك والمصلح الرائد والمنقذ المنتظر، فوهب حياته ما يضيء للأمة فكراً وثقافة ووعياً، واحتاط لنفسه ودينه وأمته احتياط اليقظ الحذر، وسعى إلى الإنقاذ ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فكان الفرد الأكمل في خضم الحياة السياسية، وكان النموذج الأرقى للعطاء الديني المتقدم، وكان الصخرة التي يتحطم عليها قصف المؤامرات، والهواء الطلق الذي يلجأ الناس إليه من خطر العواصف من شتى الاصناف.

عُرف، عليه السلام، بملازمة كتاب الله، وكان دائم التهجّد والدعاء، على سيرة آبائه الكرام، و رغم وفرة الأموال التي كانت تحت يده، فقد جسّد في حياته العامة، والخاصة المثال الأعلى والنموذج الفريد في الزهد، والتواضع والإخلاص، كما كان يشارك الضعفاء والمساكين طعامهم، ويقيم لهم الموائد ويعطف على الفقراء، وإضافة إلى ذلك كان مفزعاً يأوي إليه العلماء، وملجأ يقصده رواد العلم، والمعرفة، وحصناً يردّ عن الدين شبهات الزنادقة، وأباطيل الغلاة كما كانت له مناظرات، ومحاورات مع علماء الفقه والكلام تركت أثراً طيباً في تدعيم الدين، وتثبيت قواعد الشريعة وأصول التوحيد.

اختلاف أمتي رحمة؟!

● الشيخ علي الخزاعي

جَاءَ في حديث عن النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله: «اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ»، هذا الحديث المعروف في أوساطنا بحاجة الى أن نسلط الضوء عليه ليتسنّى لنا فهم ما يُراد منه، لورود أكثر من مفهوم خاطئ وقع فيه البعض من تفسير ليس في محله، لذا قيل فيما يُقصد به:

أولاً: ما نعيشهُ حالياً من تناحر وتفرّق بين المسلمين، حتى وصل بهم إلى سوء الحال من سفك الدماء فيما بينهم سواءٌ على الصعيد الديني أو السياسي، يستدعي أن يأخذ «الاختلاف» معنى سلبياً بالضرورة، عند ذلك يستوجب أن تستبدل كلمة «رحمة» بنقيضها؛ «عذاب»! لأنَّ الاختلاف والتمزق لن يستجلب الرحمة – منطقياً– بينما من علامات الإيمان؛ وحدة كلمة المسلمين على الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة المظلوم مسلما كان أو غير مسلم، إذ جَاءَ في محكم كتابه الحكيم: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، (سورة آل عمران: ١٠٣)، أي؛ أمرهم بالوحدة فقال ﴿وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾، فالإسلام يقوم على توحيد المجتمع وتوثيق روابط الأخوة الإيمانية؛ ﴿أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾، أي؛ يجمعكم على الإسلام ويرفع البغضاء من قلوبكم. وفي مكان آخر يقول عز وجل: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، (سورة الأنفال: ٤٦)، ومعنى ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ﴾، أي؛ لا تختلفوا ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ وتُصابُوا بالضعف والفزع ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، أي؛ تذهب عزتكم ودولتكم وغلبتكم، كما ذكر عن رسول الله، صلى الله عليه وآله: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى بَعْضُهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»، أي، يستوجب على جميع المسلمين أن يكونوا في كلمة سواء بينهم بتراحمهم وتوادهم، كما وأن أحدهم يحس بالآخر كالجسد الواحد، لو أصيب عضوٌ منه بوعكة صحية يتألم جميع الجسد بسبب هذا العضو المصاب، كما وأن المؤمن مرآة المؤمن.

ثانياً: ما جاء في اختلاف رأي العلماء بالفتوى، في حديث الإمام الصادق، عليه السلام، في المراد من مضمون هذا الحديث النبوي، فقد روى الصدوق في (علل الشرائع، ج١: ٨٥) بسنده عن عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْأَنْصَارِي قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ، عليه السلام، إِنَّ قَوْماً يَرْوُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صلى الله عليه وآله، قَالَ: [اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ] فَقَالَ: [صَدَقُوا] فَقُلْتُ إِنْ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ رَحْمَةً فَاجْتِمَاعُهُمْ عَذَابٌ قَالَ: [لَيْسَ حَيْثُ تَذْهَبُ إِنَّمَا أَرَادَ قَوْلَ اللهِ، عزَّ وجَلَ: ﴿...فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، (سورة التوبة: ١٢٢)، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَنْفِرُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ، صلى الله عليه وآله، فَيَتَعَلَّمُوا ثُمَّ يَرْجِعوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَيُعَلِّمُوهُمْ إِنَّمَا أَرَادَ اخْتِلَافَهُمْ مِنَ الْبُلْدَانِ لَا اخْتِلَافاً فِي دِينِ اللهِ إِنَّمَا الدِّينُ وَاحِدٌ إِنَّمَا الدِّينُ وَاحِدٌ». فالمراد بالاختلاف في الحديث النبوي المذكور هو الذهاب والمجيء إلى حلقات العلم كما في قوله تعالى من معنى الاختلاف أي؛ الذهاب والمجيء، والأنسب بهذا المعنى أن يكون الضمير في قوله ﴿رَجَعُواْ﴾ للطائفة المتفقهين، وفي قوله: ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لقومهم، والمراد إذا رجع هؤلاء المتفقهون إلى قومهم، ويمكن العكس بأن يكون المعنى: إذا رجع قومهم من الجهاد إلى هؤلاء الطائفة بعد تفقههم ورجوعهم إلى أوطانهم.

انطلاقاً من هذه الأدلة، يظهر الابتعاد الكبير عن المعنى الحقيقي للحديث النبوي الشريف، على أن الاختلاف بين علماء المسلمين، وبين أبناء الأمة، هو رحمة، بينما الإسلام كله واحد تحت رسالة موحدة لا اختلاف فيها.

ورد عن زرارة قال: سألتُ أبا عبد الله، عليه السلام، في الحلال والحرام فقال: «حَلَالُ مُحَمَّدٍ حَلَالٌ أَبَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَحَرَامُهُ حَرَامٌ أَبَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يَكُونُ غَيْرُهُ وَلَا يَجِيءُ غَيْرُهُ». كما في آية ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ﴾، من سورة التوبة التي بينها العلامة السيد الطباطبائي – قدس سره–: ذكر بأن هذه الآية، ما يفرض على الناس أن يلازم بعضهم البيضة (بيضة الاسلام) للتفقه في الدين ثم تبليغه إلى قومهم إذا رجعوا إليهم.

ومن هنا يظهر أن المراد بالتفقّه؛ تفهم جميع المعارف الدينية من أصول وفروع، لا خصوص الأحكام العملية، وهو الفقه المصطلح عليه عند المتشرعة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾ فإن ذلك أمر إنما يتم بالتفقه في جميع الدين وهو ظاهر.

كيف نكون أوفياء لدولة العدل الالهي؟

قال الإمام الحجة، عجل الله تعالى فرجه الشريف: "إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم"

● الشيخ عواد الكربلائي

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، (سورة الأنبياء: ١٠٥).

مع أن القرآن الكريم بحد ذاته يمثل معجزة نبينا الاكرم، صلى الله عليه وآله، في كل العصور، فان من معاجزه المتجددة؛ ما أخبر به النبي الاكرم عن مستقبل البشرية ومسيرة الاسلام فيها حتى عصر الاسلام الموعود الذي يظهره الله – تعالى– على الدين كله.

كلنا ينادي: «العجل العجل يامولاي يا صاحب الزمان»، ولكن لنكن واقعيين؛ اذا ظهر الامام الحجة، عجل الله فرجه، وأحيا الكثير من الاحكام المعطلة او التي شابها التغيير، فهل نكون على استعداد لتحمل تقويم هذا التغيير؟ وهل يكون جوابنا للإمام؛ السمع والطاعة؟ أم يكون «حسبنا كتاب الله»؟ او «لا حكم إلا لله»؟ لنستعد من الآن لتحضير الجواب الحاسم والمصيري.

عند خروج الامام، يلقي خطبه لأيام ويُبايع بين الركن والمقام ويدعو الناس الى البيعة، ويتكلم بكلام لم يتكلم به أحد من الناس، ويقبل أنصاره وشيعته من كل مكان، وسيكون وصولهم الى مكة بصورة إعجازية.

وتؤكد الروايات ما نصه: «قوم يُفقَدون من فراشهم فيصبحون في مكة». وعن الامام الصادق، عليه السلام: «دارُ مُلكِه الكوفة، مجلس حكمه جامعها، وبيت مالَه ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضع خلواته الذكوات البيض من الغريين».

● بصائر من الآية الكريمة

إن من ألطاف الامام الحجة، عجل الله فرجه، أنه يدافع عنّا في الخفاء، ونستدلّ بذلك من رسالته الى الشيخ المفيد، ينقل مضمونها العلامة المجلسي في بحار الانوار: «للأخ السديد، والولي الرشيد، الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان أدام الله إعزازه، من مستودع العهد المأخوذ على العباد.

«...فإنا نحيط علما بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء [١] أو اصطلمكم الأعداء [٢] فاتقوا الله جل جلاله وظاهرونا على انتياشكم [٣] من فتنة قد أنافت عليكم [٤] يهلك فيها من حم أجله [٥] ويحمى عنها من أدرك أمله...»

● مسؤولية كل واحد منّا

من واجبات كل فرد منّا اتجاه الامام المنتظر، عجل الله فرجه؛ ان ينظر ما هي وظيفته تجاه نفسه وتجاه الآخرين، وما يترتب عليه من مسؤوليات، ثم ينظر فيما يجب ان يتجنبه من المحرمات، فعلى الزوج او ربّ الأسرة – مثلاً– ان يعرف واجباته تجاه اسرته، وايضاً على كل فرد ان يعرف واجباته تجاه امامه، حتى لا يكون مصداق الحديث الشريف: «من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية».

فكيف نتعرف على هذه المسؤولية والواجبات؟

هنالك قصة معبرة حصلت في عهد الشيخ مرتضى الانصاري، وكان حينها يتتلمذ عند شريف العلماء في بداية شبابه في كربلاء المقدسة، وكان في مهنة تصليح الاقفال، وكان دكانه بالقرب من مرقد الامام الحسين، عليه السلام.

وفي تلك الفترة كان هنالك عدة من طلبة العلوم الدينية قد عقدوا العزم على اللقاء بالإمام الحجة المنتظر، عجل الله فرجه، فمارسوا جملة من الاعمال العبادية، من حضور المساجد والتوسل بالأئمة وزيارة المراقد المشرفة، وذات يوم جاءت الى دكان الشيخ الانصاري – وكان حينها غير معروف لعامّة الناس – امرأة عجوز تحمل قفلاً، وقالت: انا أرملة ولدي أيتام، واريد ان أبيع هذا القفل لاشتري الطعام لأولادي.

نظر الشيخ الانصاري الى القفل وهو من دون مفتاح، فقال لها: ان قفلك من دون مفتاح لا يساوي سوى فلس واحد، واذا يكون معه مفتاح يصبح سعرهُ خمسةً فلوس، وبعد ان عثر لها على مفتاح للقفل، اقترح عليها ان يبيعها المفتاح بفلس واحد، ثم يشتري منها القفل مع المفتاح بخمسة فلوس لتربح بذلك اربعة فلوس، وبينا هما على هذه الحالة بين البيع والشراء، ظهر رجل بهيّ الطلعة، وكأنه ينتظر شيئاً، ولما انتهى الشيخ من البيع والشراء، قام هذا الرجل وودع الشيخ ثم التفت الى الطلبة الذين كانوا قد تجمعوا عند الشيخ الانصاري قائلاً: «كونوا مثل هذا الشيخ ليأتيكم صاحب الزمان». وبعد لحظات عاد لهم رشدهم في كيفية اطلاع هذا الرجل على نواياهم، وكان ذلك الرجل قد اختفى عنهم، وادركوا انهم لم يصلوا الى ما وصل اليه الشيخ الانصاري.

● النبي الاكرم وبشارة المنتظر

ما ورد عن النبي الأكرم وأهل بيته، صلوات الله عليهم، عن اخبار المهدي، عجل الله فرجه، تؤكد أن ظهوره ينشر على الكون والبشرية، عدلاً وقسطاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً، فقد نقل عن الصدوق في «إكمال الدين وإتمام النعمة»، بسنده عن جابر الانصاري عن النبي، صلى الله عليه وآله، قال: «المهدي من ولدي اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون له غيبة وحيرة تضلّ فيها الامم كالشهاب الثاقب فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وجاء في كتاب الطوسي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: عن النبي، صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة؛ يا بُنية؛ انا اعطيناك أهل البيت سبعاً، ستاً لم يعطها أحد قبلنا؛ نبينا خير الانبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء، وهو عمّ أبيك الحمزة، ومنّا من له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة، وهو ابن عمّك جعفر، ومنّا سبطا هذه الامة، وهما ابناك الحسن والحسين، ومنّا مهدي هذه الأمة الذي يصلي خلفه عيسى».

وقال الصدوق في «إكمال الدين»، عن أبي جعفر الثاني، عليه السلام، عن آبائه عن الامام علي،عليه السلام، قال: «للقائم منّا غيبة أمدها طويل، كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته، يطلبون المرعى فلا يجدونه إلا من ثبت منهم على دينه، ولم يقسُ قلبه لطول أمد غيبة إمامه، فهو معي في درجتي يوم القيامة».

● الإصلاح الشامل للعالم أجمع

إذن؛ العالم كله يحتاج الى مصلح واحد، وهنا تبرز الحاجة الملحّة الى شخصية عالمية مؤهلة لقيادة ربانية رشيدة ملهمة لاستقطاب الاسلام وإدارة الحركة الاسلامية التاريخية، وتقديم المنهج الإسلامي بحيث تكون هذه الشخصية مرجعاً حقاً لما اختلف فيه الناس، وملاذاً وداعياً وأسوة جامعة، وهذا يستدعي أن نهيئ انفسنا جميعاً لاستقبال الامام المهدي، عجل الله فرجه، كما لو أنه سيظهر غداً، وذلك من خلال اعداد انفسنا ايمانياً وعقائدياً وفكرياً وثقافياً وروحياً، ويجب ان يكون احساسنا بقضية الامام، على درجة عالية.

● معلومات عن هوية الإمام المنتظر

١– شخصيته:

اسمه؛ محمد، أبوه؛ الامام الحسن العسكري، أمه؛ نرجس، ولادته؛ في ١٥شعبان المعظم سنة (٢٥٥) للهجرة، كنيته؛ أبو القاسم، وهي كنية رسول الله، صلى الله عليه وآله، ألقابه؛ المهدي، القائم، المنتظر، صاحب الزمان.

٢– ولادته وصفاته:

ولد في مدينة سامراء، صفته؛ ناصع اللون، واضح الجبين، أبلج الحاجب، حسنون الخد أقنى الأنف، أشمّ أروع، كأنه غصن بان، بخده الإيمن خال.

٣– غيبته الصغرى:

مدتها: ٦٩ سنة، نصب فيها سفراء أربعة هم: ابو محمد عثمان بن سعيد العَمري المعروف بـ (السَّمان)، وابنه ابو جعفر محمد عثمان العَمري المعروف بـ (أبو جعفر)، وابو القاسم الحسين بن روح النوبختي المعروف بـ (أبي القاسم)، والرابع؛ ابو الحسن بن علي بن محمد السَمُري المكنى بـ (أبي الحسن).

٤– غيبته الثانية، وتسمى الكبرى بعد موت السفير الرابع.

٥– نقش خاتمه؛ أنا حجة الله وخاصته .

٦– رايته، مكتوب عليها؛ «البيعة لله».

٧– أنصاره؛ ٣١٣ شخصاً.

٨– محل ظهوره؛ مكة المكرمة.

٩– محل بيعته؛ الركن والمقام.

١٠– دولته تشمل العالم بأسره.

● ختاماً

الإمام المهدي المنتظر، عجل الله فرجه، يرى أعمالنا ويراقب أوضاعنا، اذا كانت طيبة، يفرح، واذا كانت سيئة، يحزن، كما ورد في التفسير؛ «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»، وفي روايات شريفة، انه، عجل الله فرجه، مؤيد بروح القدس، بينه وبين الله عزّ وجل، عمود من نور، يرى فيه أعمال العباد وكل ما يحتاج اليه، فهو يرى اعمالنا وكلامنا، ويعرف نياتنا وافكارنا، ما اذا كانت لله،أم لغيره.

قال الامام الرضا، عليه السلام: «ان صاحب هذا الامر ليحضر الموسم». بمعنى مواسم الحج والزيارة،ولربما يصادفك في مرقد الامام الحسين، عليه السلام، في الزيارات المخصوصة، او ايام الجمعة، فلما يظهر، تقول: قد رأيناه!

وأهم من ذلك؛ انه يقول: «شيعتي؛ ادعو لي بالفرج»، وافضل الدعاء عند قبة مولانا الامام الحسين، عليه السلام، بالفرج.

---

(١) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

(٢) اصطلمه: استأصله.

(٣) إنتاشه من الهلكة: أنقذه.

(٤) أناف على الشيء طال وارتفع عليه.

(٥) حم أجله: قرب.

(٦) الأزوف: الاقتراب.

عندما يبتعد الشعر عن أهدافه الحقيقية

أ نحن أمام أزمة إبداع أم أزمة قيم؟

● محمد طاهر الصفار

ميّزت نظرة القرآن الكريم إلى الشعر؛ بين الشعر الذي يساير الحقيقة والمبادئ الإنسانية والأخلاقية والمثل العليا، وبين الشعر الذي يدعو إلى الإنحلال والنفاق والكذب والرذيلة، فالله –عز وجل– خلق الإنسان والطبيعة ليري الناس قدرته وحسن صنيعه، ومنح الإنسان مواهب الفكر والحس المرهف والخيال المبدع ليستشفّ ويستجلي جواهر الاشياء فيكشف عن علاقتها القريبة والبعيدة، فتتجلّى له قدرة الخالق ويتجلّى له بديع صنعه، فيدعو إلى ما أمر الله به وينهى عما نهى عنه، فالشعر في ضوء القرآن الكريم رسالة نبيلة على الشاعر أن يؤديها بأمانة وصدق، وقد حدد القرآن الكريم هذين المفهومين للشعر في الآيات الاخيرة من سورة الشعراء: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

فالغاية من الشعر هو الدعوة إلى العمل الصالح بالقول والفعل، وقد أولى الإسلام قضية الشعر أهمية كبيرة، فجاء لينقّيه ويهذّبه ويشذّبه من الكذب وسفاسف الجاهلية والقول الفاحش وكل ما ينافي هدى الدين وآدابه وأخلاقه، ويصبّه في صالح قضايا الأمة ويعطيه سمة إخلاقية وإنسانية.

● أهل البيت و رسالية الشعر

وجاءت أحاديث الرسول الأكرم، صلى الله عليه وآله، لتؤكد هذا المعنى، فالنبي هو أفصح العرب وهو القائل: «لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل حنينها»، له الحديث الشهير: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة»، ولكنه، صلى الله عليه وآله، لخّص نظرته إلى الشعر وفق منهج القرآن الكريم فقال: «إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق فهو حسن، وما لم يوافق الحق فلا خير فيه».

هذه النظرة تعطي للشعر معنى سامياً وتنتشله من اللغو والإنحطاط؛ فكان للشعر دور كبير في نصرة الإسلام؛ فالنبي، صلى الله عليه وآله، كان أمام تحدّيات قريش واليهود الذين كان شعراؤهم يهجون الرسول والإسلام، ولا يخفى ما للشعر من تأثير كبير في النفوس، فكان على الرسول أن يواجه تلك التحديات، فحثّ شعراء المسلمين على نصرة الإسلام، وله في ذلك أقوال كثيرة، فكان للشعر دور بارز في نصرة الإسلام والإنسانية، وأدى رسالة كبيرة في نشر مبادئ الدين الحنيف، لذا واجه الشعراء المؤمنون، شعراء قريش وردوا كيدهم إلى نحورهم.

فحينما هجا عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبعري، وأبو سفيان وغيرهم من شعراء قريش المشركين، رسول الله، صلى الله عليه وآله، والإسلام، تصدى لهم شعراء الإسلام وعلى رأسهم أبي طالب، عليه السلام، عمّ الرسول، صلى الله عليه وآله، الذي دافع عنه بيده ولسانه وله في نصرة الرسول الكثير من الأشعار تضمنها ديوانه أبرزها «لاميته» الشهيرة التي يقول عنها ابن جني: «إنها أفضل من المعلقات السبع»، ومن الشعراء المؤمنين الذين دافعوا عن الرسول والإسلام؛ حسّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك الأنصاري وغيرهم.

وكان، صلى الله عليه وآله، يشجّعهم ويحثّهم ويثيبهم على نصرتهم الإسلام، فكان يقول لهم حينما ينشدون الشعر لنصرة الدين: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل»، كما كان يجزل لهم العطاء، فقد وهب بردته لكعب بن زهير، حينما قرأ عليه قصيدته المشهورة، ولما أنشد النابغة الجعدي النبيَّ، قصيدته «الرائية» بشرّه بالجنة، ويدلنا قول أبي حاتم الرازي على عناية النبي بالشعر الحق وبشعراء الإسلام حيث يقول:

«إن النبي، صلى الله عليه وآله، ما كان يحب الشعر فحسب، بل يستنشده وينصت له ويعفو ويصفح به عن المجرمين ويقبل التوبة والمعذرة منهم، ويستمع إلى الشعر ويثيبهم على الشعر الجيّد ويجيزهم ويحنو عليهم باستماع شعره»، وقال الدكتور شوقي ضيف: «إن الشعر ظلّ مزدهراً في صدر الإسلام وليس بصحيح أنه توقّف أو ضعُف».

كما كان الأئمة المعصومون، عليهم السلام؛ وهم القرآن الناطق، ينشدون الشعر وهناك الكثير من الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين، عليه السلام، يقول الشعبي: «كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر، وكان علي، عليه السلام، أشعر من الثلاثة، وفي «عيون أخبار الرضا» أن المأمون قال للإمام علي بن موسى الرضا، عليه السلام،: هل رويت من الشعر شيئاً ؟ فقال: قد رويت منه الكثير، فقال: أنشدني، ثم ذكر أشعاراً كثيرة أنشدها له في الحلم والسكوت عن الجاهل، وترك عتاب الصديق واستجلاب العدو، وكتمان السر، وغير ذلك مما كان يقوله ويتمثل به.

فالشعر في نظر الإسلام هو قضية إنسانية تهدف إلى بث مكارم الأخلاق في المجتمع، كما تهدف إلى الإنتصار للحق وتمجيد أعمال العظماء والتأسّي بهم، والإقتداء بأعمالهم، ولا تجد في التاريخ أعظم من أئمة أهل البيت، عليهم السلام، كما لا تجد من قدم عطاء للأنسانية كالامام الحسين، عليه السلام، لذلك حث الأئمة، عليهم السلام، على إنشاد الشعر في الحسين، عليه السلام، وهناك ما لا حصر له من الروايات عنهم في الحضّ على إنشاد الشعر في رثاء الحسين، وتشجيع الشعراء على ذلك.

● أنا دون ما تقول و فوق ما في نفسك

وإذن؛ فالإسلام بدعوته إلى العدل والحق والإخاء والمساواة، دعا إلى العمل على نصرة هذه المبادئ السماوية الإنسانية والأخلاقية بالقول والفعل والشعر، وحضّ وشجّع على الشعر الذي يدعو إلى هذه المفاهيم العليا التي تليق بالمجتمع البشري وفطرته السليمة، كما نهى عن الشعر الذي يدعو إلى الفحش والرذائل ويخالف مفاهيم الشريعة الإسلامية، وهو الشعر الذي نهى النبيّ، صلى الله عليه وآله، أيضاً وحرّمه الإسلام، ومنه الهجاء الفاضح، وشعر الفخر القبلي الجاهلي، والغزل الفاحش والشعر الوثني، والشعر الذي هاجم الدعوة الإسلامية وشعر المديح الكاذب.

> قطع الامام علي، عليه السلام، وهو في موقع القيادة؛ الطريق على الشعراء المتزلفين والوصوليين والمنفعيين

وقد حرم الإسلام مدح السلاطين والركون إليهم في الكثير من الآيات كما نهى النبي، صلى الله عليه وآله، عن ذلك، فقد ورد في كتاب وسائل الشيعة، ج١٧ص١٦٨، الباب: ٤٣ باب تحريم مدح الظالم، قوله، صلى الله عليه وآله: «احثوا في وجوه المداحين التراب». و ورد هذا الحديث أيضاً في كتب أهل السنّة، عن المقداد بن الأسود الكندي بما نصه: «أمرنا رسول الله أن نحثوا في وجوه المداحين التراب»، ولا يخفى أن المراد بالمدّاحين هنا هم مدّاحوا السلطان بالباطل ووصفه بما ليس فيه، وإلا فقد مُدح رسول الله في الأشعار والخطب والمخاطبة ولم يحث في وجوه المداحين التراب بل لم ينه عن ذلك.

وروي عن أَمير المؤمنين، عليه السلام، أنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه و آله: «من مدح سلطاناً جائراً، أَو تخفَّف و تضعضع لهُ طمعاً فيه ، كان قرينه في النار».

وورد في نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح، ص٤٨٣) أن أمير المؤمنين، عليه السلام، قال لرجل أفرط في الثّناء عليه و كان له متّهماً: «أنا دون ما تقول و فوق ما في نفسك».

فقول أمير المؤمنين، عليه السلام، لهذا الرجل المادح المنافق، على ما يظهر من كلمة «متّهماً»: و»فوق ما في نفسك»، تدل بوضوح على علم الإمام، عليه السلام، بما في نفس الرجل المثني الذي خالف قلبه لسانه، والغرض منها تنبيهه علّه يرتدع عما بدر منه من النفاق، كما تدل على تنبيه الناس منه فهو، عليه السلام، يريد أن يشير إلى الناس أن هذا الرجل مدحه لا لكونه، عليه السلام، يستحق المدح بل لكونه في موضع القيادة فهو يتزلّف للوصول إلى غايات مادية ودنيوية فقطع، عليه السلام، الطريق على المتزلفين من أمثاله من الوصوليين والمنفعيين، والأمر المهم في هذه الكلمة العظيمة هو أنها عبرت عن تواضع من الإمام لتعليم الأمة هذا الخلق الرفيع.

● المزمّرون وأزمة الإبداع الشعري

فالإسلام أوضح نظرته إلى الشعر من خلال القرآن الكريم والأحاديث النبوية

الشريفة وروايات المعصومين، عليهم السلام، وهي تتمثل في الدعوة إلى الحق والعدل ونصرة العقيدة وتمجيد المبادئ الإنسانية، ورغم هذه النصوص المقدّسة التي ميّزت بين مفهومي الشعر، إلا أن كلا المفهومين قد سايرا الشعر على مدى أدواره السحيقة، فمثلما كان الشاعر في صدر الاسلام قد توحّد لسانه وقلبه في القول في الدفاع عن الإسلام ومبادئه، ومثلما تابعه على منهجه شعراء العقيدة الذي حملوا الشعر رسالة نبيلة للارتقاء بالأهداف السامية، فقد برز المفهوم السلبي للشعر أيضاً وهو الذي خلا من الصدق والهدف وما يفرضه الدين والاخلاق فكأن الدين والاخلاق بمعزل عن الشعر فزوّقت كلمات هؤلاء الشعراء عروش الظالمين ورصّعت تيجانهم بالمدح الكاذب اتّباعاً لأهوائهم وطلباً للكسب من ذوي النفوذ والجاه واستهين بقيمة الشعر كرسالة سامية.

ومن يسبر غور التاريخ يجد هذه الحقيقة تتجلّى بأوضح صورها في العهود التي تلت صدر الإسلام فبعدما كان الشاعر ينطق بـ «روح القدس»، حتى جاءت الدولة الاموية فخضع الشعراء للسلاطين الأمويين وأخذوا يمدحونهم مقابل الهبات والهدايا وجعلوا الشعر متجراً يتّجر به، فنزلت مكانة الشعر وهان، لأنه جاء منافياً الحقيقة والصدق.

ورغم أننا نجد في المقابل من الشعراء من حافظ في شعره على رسالته السامية، نجد من يقول «كلمة حق عند سلطان جائر» ومن «يحمل خشبته على ظهره ينتظر من يصلبه عليها في سبيل قول الحق»، إلا أن المفهوم السلبي طغى في العهود الأخيرة ونبذ الشعراء رسالتهم الإنسانية التي أمرهم بها القرآن وخضعوا لسلاطين الجور وتحوّل الشاعر الى مادح متسوّل على أبواب القصور.

وبدلاً من أن يتسامى الشاعر إلى قمم الفضيلة والبطولة والتضحية والخير بتناوله سير الأئمة المعصومين، عليهم السلام، العظيمة وسير الأولياء وتضحيات الشهداء وفضائل العلماء وغيرها، فقد خان رسالته وجحدها ووجهها لمدح حكام الجور كما استخدمها في معانٍ منحطّة وسفّ بها الى مستوى منحدر كالمجون والخلاعة.

ففي حقب سابقة كان تعامل الشاعر مع الشعر على أنه «حرفة» تدرّ عليه مالاً

الشعر في نظر الإسلام هو قضية إنسانية تهدف إلى بث مكارم الأخلاق في المجتمع، كما تهدف إلى الإنتصار للحق وتمجيد أعمال العظماء والتأسّي بهم، والإقتداء بأعمالهم

ولم يكن يهمه خلو هذه الحرفة من القيم الإنسانية والصدق ما دامت هذه الحرفة هي ما تقوي أواصره بالسلطة الحاكمة، وهذا ما أدى الى فصل الشعر عن هدفه في نشر القيم الأخلاقية، فطغى مفهوم شعراء التكسب واحتراف شعر المديح، وتكاد تكون تلك الحقبة من أقسى الفترات التي مرّ بها الشعر فبدلاً من أن تكون الكلمة تتبع بالموقف وتصدع بالحق أصبحت وسيلة لتسلّق سلم المصالح الشخصية والتملّق للسلطة، وبما أن الشعر لا يزدهر ولا ينفتح إلا في مناخ من الحرية الكاملة، فقد تفاعلنا خيراً بطمس تلك الفترة وإدبارها إلى غير رجعة في العراق، وكنا نرجو أن يكون الشعر بعد مضي تلك الفترة وسيلة للشعب بعد أن كان وسيلة للحكام.

وبعد أن أصبح من العسير إدامة تلك الأصرة المنفصلة في «العهد الجديد»، فقد استخدم الشعراء الشطر الثاني من انشطارهم الذهني حيث طغت الروح التجارية على الشعراء بشكل آخر، فبعد أن كان يتم تجنيد الكثير من الشعراء وتوجيههم نحو شعر المديح المتضمن مبادئ السياسة الحاكمة، أصبح المطلوب من الشاعر هو، تقديم الخدمات الإعلامية لجهات معينة وليس في ذلك مما يشين، ولكن المشين هو أن أغلب الشعراء الذين توجهوا هذا التوجّه، عملوا في جهات تخالف توجهاتهم وأيديولوجياتهم تماماً!

لقد كان هذا ديدنهم في السابق؛ فالشعر لا يدر ربحاً، وعلى الشاعر أن يكون «واقعياً» في شعره، لأن العالم المحيط به مضبب لا يعرف مصيره، فعندما يجوب عقله، الخيال الشعري، يجب عليه أن يرسخ أقدامه على أرض صلبة حتى لا يتهاوى به الخيال إلى السراب، إنهم الآن قد عرفوا أُصول اللعبة، فبعد أن احتل بعض الشعراء «النظّامين»، مكانة صغيرة في التأريخ المنقرض من خلال منجزاتهم «المبوّقة» فإنهم لم يفقدوا جبلّتهم في فرض شخوصهم بالقوة على الساحة الشعرية باتخاذهم اتجاهاً جديداً وهو التزلف لبعض الجهات والتظلّم من «النظام السابق»، الذي كان يطاردهم ويعذبهم في قصص اخترعوها رغم إنهم كانوا يزعقون له ليل نهار!

لقد بقي أُولئك المزمّرون يحاولون إسكات الأصوات المرتفعة ضدهم من أجل أن يبقى مشعلهم متميزاً ومتوهّجاً، وقد شكل هذا الواقع أزمة جديدة على صعيد الإبداع الشعري.

و بقيت هذه الأزمة دون حل، لأن الشعر مختصّ بشريحة صغيرة من الناس، ولكن؛ في الوقت نفسه يجب أن يكسب اتصالاً بجمهور أوسع ويكون شيوعه كشيوع التلفزيون والمسلسلات المدبلجة فيكون اتصاله بالجمهور المثقف وغير المثقف لكي يستطيع أن يزوده بصورة حية عن الحقيقة التي تساعد على العلاج لحالة الشعر المتأزمة.

إن قيمة الشعر الحقيقية محقت بتذبذب الشاعر وموقفه المتهالك في التشبّث بأنظمة وتوجهات لا توائم توجهه، فتلوّنت كتاباته وتوجهاته على عدة اتجاهات خلال فترة وجيزة، وحتى نوضح أكثر نقول: مع وجود الكتابات الرازحة تحت مفاعيل بوقية «وتكريمية» خاصة، وبعلم أصحابها والخائضون غمارها، فما عدا مما بدا حتى يقوم «الصفوة» من أخلاء بعض الشعراء وليقدموا له شهادات وتزكيات في الأماسي الشعرية ويتناوبوا على ذلك، أليس الأولى أن يقدم هؤلاء «الصفوة» التاريخ الحقيقي لهذا الشاعر ويحدّوا من سلطويته على الشعر؟!

إن الأمانة الأدبية تفرض استقلالية الحديث، فيجب أن يتكلم الشاعر عن الشاعر بعيداً عن النفاق والمصلحة الشخصية كاشفاً عن القناع الذي انطوى تحته، لتصب هذه الأحاديث في المصلحة العامة للشعر وليس في مجرى المصلحة الخاصة لهذا الشاعر أو ذاك.

أسطرلاب

● مصطفى الصفار

معاجز جسم الإنسان

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، (سورة التين: ٤)

● هل تعلم أن الكبد في جسم الإنسان يتجدد كل ستة أسابيع؟

● هل تعلم أن العمود الفقري عند الإنسان يتجدد كل ستة أشهر؟

● هل تعلم أن تجدد الكُلى كل ثمانية أسابيع؟

● هل تعلم بأن الجلد يتغير كل شهر ونصف؟

● هل تعلم أن العين عند الإنسان تفتح وتُغلق لأكثر من ثمانية آلاف مرة باليوم؟

● هل تعلم بأن قلب الإنسان يدُق كل يوم مائة ألف مرة؟

● هل تعلم بأن عقل الإنسان له القدرة على خزن أكثر من مليون معلومة في الثانية الواحدة، علماً أن وزنه لايزيد عن ٢ كيلو جرام، وهو يحمل نحو مائة وخمسين مليار خلية حية؟

الصلاة والسجود على التربة

● هل تعلم أن الإنسان عند سجوده في الصلاة الواجبة يأتيه ملك الموت عند رأسه ليلقنه الشهادتين؟

● هل تعلم أن إطالة السجود على التربة تقوي الذاكرة وتمنع الجلطة؟

● هل تعلم أن السجود على التربة يزيل الشحنات السالبة من جسم الإنسان، لأن الأرض شحناتها موجبة؟

● هل تعلم أن إطالة النظر إلى التربة في الصلاة يقوي نظر العين؟

شرب الماء على معدة فارغة

﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾، (سورة الأنبياء: ٢٠)

● هل تعلم أن شرب الماء على معدة فارغة:

١- يذهب الصداع؟

٢- يعالج الأوجاع العضلية؟

٣- يذهب حالة التقيؤ؟

٤- يساعد في علاج البواسير؟

٥- يعالج التهاب المفاصل؟

٦- يذيب الدهون الزائدة؟

٧- يعالج التهاب القصبات الهوائية؟

٨- يساعد على علاج أمراض الكبد والمسالك البولية؟

٩- علاج التهاب غشاء المعدة؟

١٠- يساعد في تهدئة اضطرابات الدورة الشهرية؟

١١- علاج عدم انتظام نبضات القلب؟

١٢- علاج خفقان القلب بسرعة؟

١٣- يساعد في علاج السكري؟

١٤- علاج الإمساك والإسهال؟

١٥- يساعد في علاج التهاب الأنف والأذن والحنجرة؟

معلومات عامة

● هل تعلم بأن التوسعة على العيال أفضل من الصدقة على غيرهم؟

● هل تعلم أن في تركيا أكثر من خمسة وعشرين مليون شيعي؟

● هل تعلم أن السيد محسن الحكيم، قدس سره، زعيم الطائفة الشيعية آن ذاك، كان يسكن في بيت بالإيجار مساحته ٧٠ مترا مربعا؟

● هل تعلم أن سماع القرآن الكريم يقلل من انتشار الخلايا السرطانية في جسم الإنسان بل يدمرها؟

● هل تعلم أن الإنسان عندما يتوضأ يمنع اصابة الجلد بالالتهابات والتقيحات وتجمع المكروبات في الجسم؟

* هو آلة فلكية قديمة وأطلق عليه العرب ذات الصفائح، وهو نموذج ثنائي البعد للقبة السماوية، وهو يظهر كيف تبدو السماء في مكان محدد عند وقت محدد.

الخضر عليه السلام ... و"الإرادات الثلاث"

• ماجد الصفار

ما الحكمة من استخدام (فَأَرَدتُّ، فَأَرَدْنَا، فَأَرَادَ رَبُّكَ) في قصة موسى والخضر، عليهم السلام؟ واللمسات البيانية لهذه الآيات الثلاث وما فيها من الإرادات المختلفة، التي تكمن في قصة النبي موسى، عليه السلام، وامتثاله للأمر الإلهي في التوجه للخضر، عليه السلام، ليتعلم منه ما سأل الباري عز وجل عليه، وهذه من الأمور التي يريدها الله تعالى ليختبر عباده؛ وفيها أن موسى، عليه السلام، مكلفاً في العمل بالظاهر مع الخضر، عليه السلام، وكان دور الخضر تكليفيا بالعمل في هذه الأمور الثلاثة، (خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار)، لذلك برز استعداد الخضر، للامتثال بالأوامر الإلهية من القوة إلى الفعل وكذلك الحال بالنسبة إلى النبي موسى، عليه السلام، إذ كان هذا الفعل محل اختبار له، وكان يرى في فعل هذه الأمور الثلاثة من قبل الخضر، عليه السلام، معصية كبيرة وخصوصاً في قتل الغلام، لذى فإن الله – تعالى – لا يفعل إلا بحكمة وقدر، وما يظهر في الآية الأولى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾، (سورة الكهف: ٧٩)، ففي هذه الآية؛ الله – تعالى – لا ينسب العيب إلى نفسه أبداً فكان الخضر هو الذي عاب السفينة فجاء الفعل من الخضر بأمر الله تعالى وقدرته التي يجريها على يديه، فأعمال الإنسان؛ إما واقعة تحت سيطرته أو انها فوق إرادته وسيطرته ولا يملك فيها من أمره شيئا، فخرق السفينة كان واقعاً تحت سيطرة الخضر وأمرُهُ فيها بين الترك والفعل؛ فبوحي من الله وإلهامه فعل فعلته في السفينة وخرقها، ومن الملاحظ في الآية المباركة أن الله – تعالى – لا ينسب السوء لنفسه، وأما الخير والنَعيم فكلها منسوبة إليه تعالى، لذا قال «أردتُ» تأدباً مع الباري عز وجل كأنّ الفعل منه منفرد.

أما في الآية الثانية: ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾، (سورة الكهف: ٨١)،هنا الفعل مشترك في العمل، بقتل الغلام على يد الخضر بأمر من الله تعالى، والإبدال بخير منه واحسن، فجاء بالضمير الدالّ على الاشتراك "فَأَرَدْنَا". فإن الخضر يملك قتل الغلام ولا يملك للأبوين المؤمنين ضمانا بأن ينجبا غلاما مكانه، فإن الله – تعالى – وحده بيده الرزق والولد والنعمة، لذا قام بعمل قتل الغلام وترك أمر الإنجاب لله وحده سبحانه.

أما في الآية الثالثة: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾، (سورة الكهف: ٨٢)، هنا تشير الآية إلى أن ما تحت الجدار كلّه خير، فنسب الفعل لله وحده وأنه يدلّ على أن الله تعالى هو علاّم الغيوب وسبق في علمه أن هذا الجدار تحته كنز لهما وأنه لو سقط، سيأخذ أهل القرية المال من الأولاد اليتامى وهذا ظلم لهم والله تعالى ينسب الخير لنفسه عزّ وجلّ، وهذا الفعل في الآية، أراد ربك أن يبلغا أشدهما – إطالة العمر – ولا يبلغ الخضر فيه من الأمر من شيء، أي لا يملك الخضر إطالة عمر الغلامين، فاكتفى بتسوية السُور وترك الباقي على رب العباد، فإن هذا الفعل ليس فيه اشتراك، وإنما هو خير محض للغلامين وأبيهما الصالح والله – تعالى – هو الذي يسوق الخير المحض والدليل قوله – تعالى –"فَأَرَادَ رَبُّكَ". وجاء بكلمة «رب» في الآيات بدل لفظ الجلالة «الله» للدلالة على أن الرب هو المربي والمعلِّم والراعي والرازق والآيات كلها في معنى الرعاية والتعهد والتربية لذا ناسب بين الأمر المطلوب واسمه الكريم سبحانه.

الدواعش.. أحفاد خوارج النهروان يستبيحون حرمة القرآن

• جميل ظاهري/ طهران

أورد الشيخ الصدوق في «أماليه» نقلاً عن علي بن أحمد بن موسى الدقاق، عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن موسى بن عمران النخعي،عن عمه الحسين بن يزيد النوفلي،عن الحسن بن علي أبي حمزة،عن أبيه،عن سعيد بن جبير،عن ابن عباس؛ حديثاً مطولاً مسنداً يستعرض فيه رسول الله، صلى الله عليه وآله، ما سيجري على ابن عمه ووصيه، الامام علي، وأبنائه، عليهم السلام.

فحدث ما حدث وكان جسد نبي الرحمة، لم يوارَ الثرى، حتى غدر به كبار القوم، ونكثوا ببيعتهم والتزاماتهم، وعادوا الى جاهليتهم الاولى، وعقدوا السقيفة ورفعوا سيوفهم على أعناق خيرة الصحابة الذين خالفوا فعلتهم المخالفة للقرآن الكريم، وما أوصاهم به رسولهم الأمين، وجلسوا على مسند ليس لهم فيه أدنى حق أو شرف أو فضيلة، وهم يعرفون أن بن أبي طالب، عليه السلام، أحق منهم بها، وهو القائل: «أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابن أبي قحافة وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَ طَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وَ طَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ...».

ولم يتوقف ظلم وفساد و انحراف القوم عن الرسالة النبوية السمحاء الى هذا الحد، حتى بلغت ذروتها على عهد الثالث، عندما خاطبهم الطليق؛ أبو سفيان، وهو يصيح بقومه وأصحابه:

«تلاقفوها يا بني أمية تلاقف الكرة بيد الصبيان فو الذي يحلف به أبو سفيان فلا جنة ولا نار ولا معاد»! وقد مضى على النهج؛ ابنه معاوية الذي قال بصوت عال في مسجد الكوفة: «ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا وتزكوا وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم»، وهو الذي شق الانحراف في مسيرة الاسلام، فكان تزييف الحقائق والتستر على الجرائم والمنكرات التي يقوم بها، كما عمل على إنشاء جيل من وعاظ السلاطين وشيوخ الفتوى مقابل الدينار والدرهم، فسالت الدماء وشاع الارهاب في الامصار الاسلامية منذ تلك الحقبة، وهذا يؤكد لنا امتداد «داعش» الى تلك الحقبة التاريخية.

بينما نلاحظ امير المؤمنين، عليه السلام أنه لما انهزم الخوارج في معركة النهروان، قيل له: لك القوم بأجمعهم، فأجاب، عليه السلام: «كَلاَّ وَاللهِ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاَّبِينَ»، ليس هذا وحسب، بل انه نهى عن مواصلة قتالهم من بعده: «لاَ تَقْاتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ».

ان الفكر الذي يرتكز عليه قادة «داعش» أعماله وبرامجه، مستلهم من تاريخ الخوارج على وجه التحديد، فهم يعتمدون سفك الدماء والدمار في البلاد الاسلامية، من الشرق، حيث باكستان وافغانستان، مروراً بالعراق والخليج واليمن وحتى لبنان ومصر وبلاد المغرب العربي، فاذا كان الخوارج، فئة صغيرة في الامة آنذاك، فان «داعش» اليوم، وبفضل دعم الحكام السائرين الى النهج الاموي، يرون أنفسهم سيوفاً على رقاب ابناء الامة، يسومونهم سوء العذاب.

لقد تحقق ما كشف عنه أمير المؤمنين، عليه السلام، يوم خاطب الخوارج ممن نجا من يوم النهروان بقوله: «أما إنّكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرة يتّخذها الظالمون فيكم سنّة»، وهو ما حصل بعد مدّة ليست بالطويلة، حيث ولّى الامويون شخصاً سفاحاً وطاغية لم تر الامة مثله من قبل، ألا وهو الحجاج، فكان من أولى اجراءاته القمعية والدموية؛ تصفية الخوارج، فأوقع فيه مقاتل عظيمة، وحسب المصادر فانه لم يبق منه باقية. أما عن ذيولهم الحالية (داعش) فان لهم عواقب وخيمة لا يمكن تصورها، لما اقترفوه من جرائم منكرة بحق الاسلام والمسلمين، ولما قاموا به من أعمال قتل بشتى الاشكال؛ ذبحاً وحرقاً وغرقاً ودهساً، للصغير والكبير والمرأة، الى جانب الاساءة الى الدين والاخلاق والانسانية، بتشريع احكام ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾، مثل «جهاد النكاح».

بين يد طفلة صغيرة وبين يد الفساد!

• علي جواد

كان مقدراً عليّ المساهمة في توفير طقس فكري هادئ يستريح عنده ذهن القارئ الكريم عندما «يستريح القلم» في خاتمة صفحات مجلة «الهدى»، و ربما يكون في هذا التقدير مصلحة معنوية لي وللقراء لنقف لحظات نكتسب «العبرة» ونسكب «العَبرة» معاً في ظل هذه الاستراحة العجيبة، وما أقل فترات الاستراحة في بلادنا! لاسيما العراق الجريح في كرامته وهو لا يبرح يسمع الزعيق والنعيق بمحاربة الفساد؛ هذه الظاهرة التي يصورها البعض على أنها «بعبع» يستحيل القضاء عليه، لأنه يكمن في الرؤوس الكبيرة فقط والمراكز الحكومية العليا في الدولة، تسبب له اليوم ولادة فساد جديد في نفوس شريحة من المجتمع تجعلهم مصابين بعقد العجز والضعة والهزيمة الداخلية. هذا البحث بعيداً عن مكامن الفساد، غيب عنّا الشعور بالحيطة والحذر من خطر هذا الفساد بين صفوف المجتمع فرداً فرداً، فاذا هو ما يشبه مرض السرطان يهدد كل فرد في المجتمع العراقي، ويحوم بين افراد الأسرة الصغيرة، لاسيما الصغار الذين يتطلعون الى المستقبل الذي يأملون أن يكون زاهراً وجميلاً لهم، وفي اللحظة التي يتحول هذا التطلّع والتخطيط الذهني الى مصدر قوة يحقق لصاحبه ما يريد في الحياة، يقفز هذا السرطان على فطرة هذا التلميذ او تلك التلميذة الصغيرة، فيقضي على الضمير والوجدان، كما يقضي السرطان على خلايا الجسم ويرديه صريعاً.

قبل ان أخرج من هذه المقدمة الطويلة، لا بأس بخاطرة تخدم المقام؛ ذات مرة كان لي حديثاً مع أحد الايتام، فتعرّج الحديث الى المساكن العشوائية «التجاوز»، وكان هو أحد سكنتها مع عائلته، وكيف أن الشرطة تأتي وتهدد بإزالتها، فحاولت بلطف تغيير مسار الحديث الى ما هو محبب للنفس، فسألت ما يرردده الكثير: ماذا تريد أن تصبح في المستقبل؟ فكان جوابه السريع: ضابط في الشرطة!

لو سألنا الطلبة عن سر اندفاعهم نحو دراسة الاختصاصات الطبية؛ بدءاً من التمريض والتحليلات المرضية والصيدلة وحتى طب الاسنان والباطنية وغيرها، لوجدنا البعض منهم – وليس كلهم – يفكرون في الوصول الى مصدر القوة تلك، فان كانت للضابط القوة المعنوية، فان للممرض او الطبيب القوة المادية، لاسيما اذا كان مدعوماً بتعيينات فورية، وايضاً بالحاجة الماسّة من المرضى وما أكثرهم في مجتمعنا.

لا نريد من وراء هذا الكلام تعميم خطأ طبي قاتل حصل مؤخراً في أحد مستشفيات بغداد، على جميع المرضين والمرضات وشريحة الاطباء، بيد أن قلّة الخبرة والإهمال وعدم الجدّية وغيرها هو الذي يجعل حدوث هذا الخطأ وغيره في العراق حدثاً شائعاً. طفلة صغيرة بعمر الورد، ربما لم تكمل الثلاث سنوات، فقدت ذراعها الأيمن بسبب طريقة خاطئة لزرق مصل في يدها، فبدلاً من أن يتصلّ المصل بالوريد، انحرف الى تحت الجلد وتسبب في زرقة شديدة باليد ثم مضاعفات خطيرة اخرى، وقبل تدارك الموقف وتصحيح الخطأ، تفاقمت الحالة وفاجأ الاطباء المختصون بقرارهم لذوي الطفلة بأن يدها تالفة تماماً ويجب ان تقطع فوراً، وحصل ما حصل خلال ساعات، فتحولت الطفلة على حين غفلة، الى معوقة طيلة حياتها.

هنا نسأل: ما الذي يدفعنا لشن حملات الهجوم على الفساد الاداري والمالي في دوائر الدولة وعند هذا الوزير او ذاك المدير وامثالهم...؟

انها مشاعر الغضب التي يولدها ضنك العيش وسوء الخدمات وكل ما من شأنه ان يمسّ مصلحة المواطن مباشرة، وهذا أمر طبيعي وحق مشروع، بيد أن البحث عما أوصل هذا الفاسد الى فساده، هو الذي يضمن لنا المكافحة الحقيقية للفساد، وإلا فان هذا السرطان، اذا كان يظهر في الطرق الترابية غير المعبدة والانقطاعات المستمرة للكهرباء وغيرها من مظاهر الفساد، فانه سيظهر اليوم وغداً بما هو أخطر بكثير وأمضّ على حياتنا وحياة اطفالنا وعوائلنا.

فنرجو الانتباه اكثر الى انفسنا ومراجعة الحسابات حتى نستريح حقاً، ولا نقطع يد طفلة صغيرة بدلاً من قطع يد الفساد.

الأئمة الأربعة ما يزالون في ظلمة البقيع